الإنسانيات والرقميات

وعصر ما بعد كورونـا

أ. د. زهور كرام

الإنسانيات والرقميات
وعصر ما بعد كورونـــا

"أنا من الذين يُؤمنون أنَ أحسن تفسير للتنمية

هو عندما يتطور العلم إلى حضارة"

"المهدي المنجرة"

قبل المقدمة

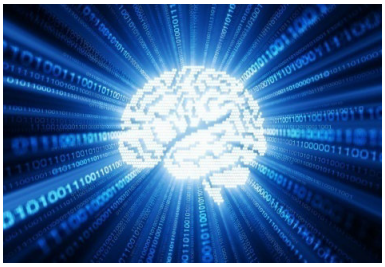

أ. دعوة للملاحظة

نحن أمام لوحتين. أو بتعبير أكثر دقة أمام لوحة على اليمين وصورة على اليسار. تأتي الأولى بلون ترابي (الأرض)، وتُطلِق الثانية من مركز أبيض أشعةً بلونٍ أزرق مع تموجات بالأبيض.

بين اللوحة والصورة مسافة زمنية تفوق قرنا أو أكثر. تنتمي اللوحة إلى القرن التاسع عشر، وتعود الصورة إلى نهاية القرن العشرين وتظل حاضرة ومستمرة في القرن الحادي والعشرين.

هل هناك علاقة بينهما؟ هل وجودهما في هذا السياق وجود اختلاف أم تشابه؟ أم أن قراءة إحداهما تبدأ من قراءة الأخرى؟

لا شك أن كل واحد من القراء وهو يتطلع إلى اللوحة والصورة قد يطرح الأسئلة نفسها. مع اختلاف الأسئلة عند من يتوفرون على خلفية فنية أو مرجعية تكنولوجية.

على أي، غايتي من الدعوة إلى الملاحظة، شدّ الانتباه وحفز القارئ، والسفر بين اللوحة والصورة؛ لأنّ السفر بينهما فيه معرفة ومن ثمة معنى. لا يتشكّل المعنى إلا بالسفر في المعرفة. وما دمنا نحيا في الزمن التكنولوجي الذي وضع وجودنا في ترتيبٍ مُغاير لِما كان عليه الأمر على الأقل قبل سنوات، فإنّ موقعنا ضمن الترتيب المُغاير، يدعونا، بل يحتم علينا، أن نكون شركاء في بناء المعنى. وعندما تكون معارفنا مختلفة، أو الطريق إليها مُختلفًا، فإنّ الوصول إلى المعنى لن يُصبح هو القصد الجوهري، بل الذهاب إلى المعنى هو القصد المنهجي.

تعالوا إذن، نُمارس السفر، كل بمعرفته ومعارفه. كل بطرائقه ووسائله. ولننطلق من فرضية أن القصد من السفر هو إدراك المعنى من الجوار بين اللوحة الترابية والصورة الزرقاء. لكن، لِننطلق من هدف واحد، ونفترق في طرائِق الوصول. لا يهم الوصول إلى المعنى الواحد، بل الأهم إعادة ترتيب معارفنا وطرقنا ووسائل فهمنا وتمثلنا للمعرفة.

يعني، أن ندخل تجربة التفكير من باب المعرفة بحثًا عن معنى مُدرك بمعارف وطرق مختلفة. فليُنجز كل واحد سفره، وعند انتهاء السفر، يكون قد وصل إلى معنى علاقة ذاته بالمعرفة.

ب. توصيف الملاحظة:

عنوان اللوحة الفنية "أكلة البطاطس" للرسام الهولاندي فان كوغ (Van Gogh) (1870-1924)، التي رسمها سنة 1885. ركز "فون كوغ" في رسمه للشخصيات، على الأيادي والوجوه الخشنة، بهدف تشخيص قسوة حياة المزارعين. ترسم اللوحة خمس شخصيات بلون ترابي، أو لون البطاطس المُتربة كما وُصِفت في دراسات كثيرة. لم يكن كوغ ينشغل في اللون بالبعد التقني، أكثر من انشغاله بالرسالة الإنسانية التي تُوثق للمزارعين الذين يأكلون ما يزرعونه بأيديهم. تهتم لوحة "أكلة البطاطس" بالعمل اليدوي، لهذا تُهيمن الأيادي التي تأتي في إطار الحركة، تُرافقها وجوه شاحبة. يُوثق اللون الترابي المُغْبر مشهد "أكلة البطاطس". وتُعد هذه اللوحة من أشهر لوحات هذا الفنان الهولاندي بالنظر إلى رسالتها الإنسانية.

أما الصورة الثانية فهي من بين مئات الصور المنتشرة في محرك البحث غوغل، كلما بحث أي شخص عن موضوع الذكاء الاصطناعي، إلا وجد نفسه أمام هذه الصورة وصور أخرى كثيرة، ترمز إلى الذكاء الاصطناعي الذي يُحاكي الذكاء البشري. نلاحظ هنا في الصورة غياب اليد والوجه، مع التركيز على اللون الأزرق الذي له علاقة بالشبكة العنكبوتية.

ج. العلاقة بين اللوحة والصورة:

من المفترض أن يكون أغلبنا قد قام بنوع من السفر المعرفي بين اللوحة والصورة. من تحضر اللوحة في خلفيته الثقافية، ويتوفر على ثقافة فن الرسم، خاصة فناني عصر النهضة، لاشك أن خلفيته الثقافية تلك ستتحرك باتجاه عصر النهضة، وإعادة مشاهدة لوحة "فان كوغ"، بل لوحات هذا الفنان الهولاندي، وقد يحدث أن تأخذه خلفيته إلى موضوع الفن وما شابه، وقد لا يعود إلى العلاقة المحتملة بالصورة الزرقاء. وهناك من لا يرى اللوحة أصلا؛ لأنها غير موجودة في خلفيته، ولا يتوفر على بعض الدعائم المُشجعة لجعله يفتح محرك البحث غوغل، ويبحث عن اللوحة وأصلها، في حين قد يجد الصورة مألوفة لعينه، وقد لا تثير لديه دهشة تدفعه إلى البحث عن معناها. هناك إذن، انطلاقة واحدة، وهي ممارسة الملاحظة، واختلافٌ في طرائقها. الاختلاف هو الذي سيحدد مسار السفر، والمسار سيكون سيد الملاحظة. غير أن الملاحظة لا تعني حتمية تحقيقها بشكل مشابه لدى كل من سيقبل بممارسة الملاحظة، إنما كل واحد سيبني مسارا معرفيًّا.

النتيجة: قد ننطلق من نقطة واحدة، غير أننا نفترق في طرائق الوصول. وعليه، يُصبح الوصول مجرد لعبة لممارسة التفكير واستثمار طرائقه. وفي النهاية، نكون قد أعدنا ترتيب مرجعياتنا الثقافية والمعرفية.

د. قراءة العلاقة بين اللوحة والصورة

نحن الآن نُشاهد لوحة أكلة البطاطس بموقع مختلف. مجاراة صورة الذكاء الاصطناعي هي التي غيرت طريقة المشاهدة. ننجز الفعل نفسه مع الصورة. وبالتالي، يتطور تفكيرنا ويتغير بحلول عناصر جديدة ومجاورة للعناصر المألوفة. نحن لا نتمثل الشيء في استمراريته، واستمرارية فعلِه في فكرِنا لا تكون إلا باستدعاء عنصر جديد أو مختلف.

لقد عاشت البشرية بين اللوحة والصورة تحولات جوهرية في معنى وجودها. تعيش البشرية في لوحة "فان كوغ" بعضلاتها، لهذا هناك تركيز على الأيادي في وضعية حركة. انتقل عمل الإنسان في الصورة إلى التقنية التي بدأت تتحكم في تسيير حياة الإنسان. ولعل من شأن استحضار بعض أشكال الربوتات أن يوضح بشكل ملموس هذا الانتقال، وكيفية

الاستغناء عن اليد العاملة بطريقة، إما مباشرة من خلال توظيف الروبو مكان العامل والمهندس والموظف، أو بطريقة رمزية في هيئة بعض الروبوتات التي تأتي في استغناء تام عن اليدين مثل روبو "كيكو" Keeko،الذي يعتبر من الروبوتات الشعبية التي تجتاح الصين، يتمّ استعماله في التعليم والتدريس كمساعد للمعلم، بل يُعتبر مُدرسًا غير تقليدي في الصين. فهو روبوت صغير لطيف ذو رأس مستديرة، ولون أبيض، وحجمٍ سمين، وشاشة تعمل باللمس، اسْتُخدِم في 600 مدرسة تمهيدية في الصين. يروي القصص للأطفال، ويحل بعض المشكلات، ويقترح على الأطفال تمارين في المنطق. كما يمتلك تقنيات تسعى للتفاعل بالمشاعر مع الأطفال فـ"عندما يجيب الأطفال عن الأسئلة بشكل صحيح، أو يكملون بنجاح التحديات التي يطرحها كيكو، تومض عينا الروبوت على شكل قلب"[1]. لكن، ما يلاحظ على شكل هذا الروبو وهيئته، هو غياب اليدين، وبالتالي فإن التركيز يكون على رأسه ووجهه حيث توجد الشاشة الإلكترونية[2].

يُؤثر إذن،انتقال مفهوم العمل في موقع الإنسان ورؤيته للحياة وذاته.

وعليه، فإنّ العلوم التي تشتغل في الإنسان، والآداب والفنون التي تُشخص وضعيات الإنسان وأحواله تظل شاهدة على موقع الإنسان وتحولاته، ونوعية السياسة والاقتصاد والإيديولوجية التي تحكمت في ذلك الموقع، وعندما يتغير موقع الإنسان وتتجدّد وسائل تفكيره، فإنّ علوم التفكير فيه تتغير، وتجدد الآداب والفنون ومختلف أشكال التعبير أنظمَتها.

بين القرن التاسع عشر والقرن الحادي والعشرين، مسافة زمنية عرفت تحولات إيديولوجية واقتصادية وسياسية. ظهرت علوم جديدة وتوارت حقول معرفية. غير أنَّ الوعي بما يحدث اليوم في القرن الحادي والعشرين، خاصة مع الثورة الرقمية الرابعة، وبدايات ظهور مظاهر الثورة الرقمية الخامسة، لا يتحقّق إلا بالوعي بما سبق، من أجل إنتاج إدراك

1https://www.cnet.com/news/china-is-using-adorable-robot-teachers-in-kindergartens/

2للتعرف على شكل الروبو وطريقة اشتغاله مع الأطفال، افتح الرابط التالي:

Robot teachersinvade Chinese kindergartens - Phys.org

معرفي وفلسفي بين الفاعل الصناعي-التقني والفعل الاجتماعي، والوعي بطبيعة التغير الاجتماعي.

تعتبر الإنسانيات والرقميات حقلا معرفيا جديدا. قد لا يشكل قطيعة مع الحقول المعرفية السابقة؛ لأنه استمرارٌ بصيغة التطور، لكن الجديد فيه يتمثل في نوعية العلاقة التي تحدث اليوم بين العلوم الإنسانية التي تأسست مع عصر النهضة للبحث في الإنسان وتاريخه ومجتمعه ونفسيته ولغته وبين الرقميات باعتبارها آخر تطورات التقنية التي تُحدِث ثورة جوهرية في العمل والإدارة والاقتصاد والسياسة والابتكار والتنمية. كما أنها علاقة لا تُجدد التفكير في الإنسان وعالمه، بقدر ما تُغير منهج العلوم الإنسانية وتُضيف حقولاً معرفية أخرى.

ماذا نعني بحقل/علم الإنسانيات والرقميات؟ وإلى أي حدّ يستطيع هذا الحقل المعرفي أن يجعلنا نُنتج وعيا بموقعنا الجديد والمُختلف في القرن الحادي والعشرين؟

فبحجم استقبالنا للتدفق المعلوماتي الذي يفيض علينا من مختلف وسائط التكنولوجيا وتطبيقاتها، نتحول -بطريقة ضمنية-إلى شركاء ليس فقط في تقاسم المعلومة، إنما في إنتاج المعرفة من المعلومة.

أفكارنا إذن، هي اقتراحات معرفية بدعمٍ من تحديدات مفاهيمية، ونظريات معرفية، ومنهجية تُرتب أفكارنا وَفق رؤية تجعل الأفكار وهي تسيلُ تدفقًا، تُنتج محتوى معرفيا يُسهم في تنوير الطريق نحو موقعنا الجديد في العالم، وطبيعة علاقاتنا الاجتماعية، ونوعية خطاباتنا ومحتواها، من أجل سيْرٍ آمنٍ نحو المُستقبل.

بين لوحة "فان كوغ" وصورة الذكاء الاصطناعي تغير الإنسان وتغير موقعه وخطابه ورؤيته، وتغيرت النظرة الإيديولوجية إليه، بل دخل الإنسان في منطقة السؤال عن وضعية العالم الذي يعيش فيه، ومن الذي يتحكم فيه، وكيف ستصبح هويته التي أَلِف الاعتقاد بها تاريخيا وثقافيا، بعد أن أدخلته مُعاملات التكنولوجيا مع مفهوم "إنترنت الأشياء" في نظام جديد، قد يجعل الأشياء في منزلة الإنسان، وقد تتحكم في نظام حياته، بل قد يتحول الإنسان إلى مجرد شيء من بين أشياء تبعا لمفهوم "الشيء" في فكرة إنترنت الأشياء، وعِوض

تحكم الإنسان بعقله وفكره ووعيه في العالم، يتحول إلى موضوعٍ تتحكم فيه مجموعة من الأشياء. فهل نحن على مقربة من عصر تغرق فيه الحضارات بتعبير أمين معلوف، ولهذا أصبح من "الضروري، بل ومن الحتمي، التنبيه والتوضيح والحض والتحذير، من دون إعياء أو مجاملة أو إحباط، ولاسيما من دون ضغينة، ومن دون أن يغيب عن بالنا أن المآسي التي تحصل في أيامنا الراهنة تنجم عن دوامة لا أحد يتحكم بآلياتها، ننساق فيها جميعا، أغنياء وفقراء، ضعفاء وأقوياء،محكومين وحكاماً، سواء شئنا ذلك أم أبينا، وأيا كانت انتماءاتنا وأصولنا وآراؤنا"[1]. لا نقصد بذلك، نشر ثقافة الرعب مما يحدث وسيحدث للإنسانية، جراء هيمنة المنطق التكنولوجي والنزاعات الدولية والحروب التي تُغير منطقها وموادها، إنما توصيف الحالة بجرأة واقعية؛ لأنَّ ذلك يُعد مدخلا جوهريا لتحمل الإنسان مسؤوليته التاريخية في الدفاع عن إنسانية إنسانيته، والحفاظ على نشاط عقله، وتحصين قيم التضامن الإنساني التي من شأنها أن تخلق قوة حضارية تواجه انجراف الإنسانية نحو المجهول. وهذا ما جعل أمين معلوف يشرح تخوفه من "غرق الحضارات" قائلا: "لم تكن نيتي التبشير بالإحباط، ولكن من واجب كل إنسان، في الظروف البالغة الخطورة التي نشهدها في هذا القرن، أن يظل متبصرا، صادقا، وجديرا بالثقة. فعندما نختار، لتهدئة مخاوف أبناء عصرنا، أن ننكر حقيقة المخاطر وأن نقلل من شأن ضراوة العالم، نجازف بأن تأتي الوقائع وتكذبنا بسرعة فائقة[2]. وعليه، فإن الوعي بالانتقالات المصيرية التي تعيشها البشرية مع ثورات التكنولوجيا، من شأنه أن يُنتج انتقالا مُدرِكاً من قبل الإنسان؛ أي من قبل عقل الإنسان ووعيه. فـ"إذا كانت دروب الغد مزروعة بالفخاخ، فأسوأ سلوك هو التقدم بعيون مغمضة متمتمين بأن كل شيء سيكون على ما يرام"[3].

الإنسانيات والرقميات إمكانية معرفية ومنهجية تقترح تصورا جديدا للإنسان في وضعياته الرقمية، وتنخرط في أسئلة الانتقالات التاريخية، من أجل مُرافقة علمية وفلسفية تتوخى إحداث الإدراك العقلي.

1معلوف، أمين، غرق الحضارات، ترجمة: نهلة بيضون، ص318.

2المرجع نفسه، صص317-318.

3المرجع نفسه، ص318.

مقدمة
حتى لا يتجاوزنا المُستقبل

"إنّ المستقبل مثل الحياة لا يقبل الفراغ، فإذا لم تحضر فسيأخذ مكانك شخص آخر". تُشكل هذه الجملة لعالِم المستقبليات المغربي الراحل المهدي المنجرة دعوة صريحة للانتباه إلى معنى أن تُؤمِّن وجودك في المستقبل. والوجود في المستقبل يبدأ من الحاضر. والحاضر هو اهتمام وانشغالٌ بما وصل إليه العقل البشري من إنجازات علمية وفكرية. وكلّ تعثر في هذا الاهتمام، ينعكس سلبا على طبيعة الوجود في المستقبل.

1. نحن والرقميات

لقد أدخلت التكنولوجيا بسرعة فائقة الإنسان في الرقميات، بفعل ثقافة الولوج التي اعتمدتها التكنولوجيا الحديثة، وتدفق المعلومة، وسرعة التواصل والتقاسم؛ بل أجبرته بفعل الابتكارات السريعة للتطبيقات وسخاء الخدمات التكنولوجية إلى جعل الأفراد يسبحون في المجال الرقمي، مستمتعين ومنبهرين ومندهشين بالإمكانيات الهائلة التي تقدمها لهم. وبالتالي، فإنّ الموقف من التأثير السلبي للتكنولوجيا يأخذ وقتا للتنظير له؛ لأنَّ التكنولوجيا تعتمد على السرعة في إدماج الأفراد في منطقها، وتقديم خدماتها "المُدهشة".

نحن اليوم في القرن الحادي والعشرين، نعيش منجزات الثورة الرقمية الرابعة، التي تتميز بالذكاء الاصطناعي، وتأثير هذا الذكاء في الحياة والاقتصاد والتعليم والصحة، ونُشرف على استقبال الثورة الرقمية الخامسة، التي بدأت مظاهرها تظهر مع مفهومي "الروبو" و"إنترنت الأشياء"، التي واجهت بها الصين ودول أخرى فيروس كورونا، الذي تسبب في مرض كوفيد 19، "غالبا ما يستخدم المصطلحان "فيروس كورونا" و"كوفيد 19" للإشارة إلى نفس العدوى، إلا أنّ فيروسات كورونا هي في الواقع عائلة من الفيروسات، يسبب بعضها أمراضًا للإنسان، في حين لا يتسبب البعض الآخر في ذلك، والفيروس الذي يثير قلقا بالغًا في الوقت

الحالي يسمى SARS-CoV-2 أو فيروس كرونا المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة نوع2. ولا يجب الخلط بينه وبين فيروس مرض السارس الذي كان الجميع متخوفًا منه عام 2003م؛ إذ إن فيروس SARS-CoV-2 هو الذي يتسبب في مرض كوفيد-19"[1]، وهو الاسم الذي أطلقته منظمة الصحة العالمية في 11 فبراير 2020م.

اكْتُشِف فيروس كورونا في وسط الصين بووهان شهر دجنبر 2019م، ثم ما لبث أن انتشر ببقية دول العالم، خاصة أوروبا وأمريكا الشمالية، والكثير من الدول العربية. ولهذا، اعتبرته منظمة الصحة العالمية جائحة؛ أرغمت دول العالم وشعوبه على الحجر المنزلي، والتباعد الاجتماعي، واعتماد التكنولوجيا الحديثة للتواصل مع العالم الخارج-ذاتي.

فجأة، أُجبرتِ البشرية على مُغادرة العالم الخارجي، والاعتكاف في البيوت، وتطبيق التباعد الاجتماعي، وِقايةً من عدوى وباء كورونا. فحسب التقارير الطبية التي رافقت التحذير من عدوى الوباء، والالتزام بالحجر الصحي، فإنّ الشخص الواحد المُصاب بفيروس كورونا، يمكن أن يتسبب بالعدوى لشخصين أو ثلاثة أشخاص في دورة واحدة، وتكبر مأساة العدوى بتكرار دورات العدوى؛ ذلك أنَّ الشخص الواحد يمكن أن يتسبب بأكثر من 88 ألف شخص في غضون 10 دورات فقط. وهو الأمر الذي رفع من الشعور بالرعب، والتزام التباعد الاجتماعي.

أمام هذا الوضع الاستثنائي الذي فرض على البشرية مُلازمة البيوت، والانقطاع عن الحركة، حضرت التكنولوجيا باعتبارها المُنقذ من الأزمة، من خلال اقتراح العمل والتواصل والتعليم عن بُعد. إنه واقعٌ جديدٌ، فرضه الوباء، لكنه سينقل البشرية عند تلاشي الفيروس إلى واقعٍ مجتمعي مختلف، تكون فيه التكنولوجيا شرطًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا، ومن ثمة ثقافيًّا.

وعليه، فإن الانتماء إلى هذا النسق من الثورة الرقمية، سواء بالإنتاج أو الاستخدام، قد غير جذريا علاقة الإنسان بالعالم، وطريقته في الإدراك. فكما يرى الباحث الفرنسي، المتخصص في تحليل الثورة الرقمية "ستيفان فيال" Stéphane Vial في كتابه/بحثه "الكائن

1انظر "مُعْجم مُصْطلَحات كُوفِيد 19 (إنجليزي-فرنسي-عربي)، ص16.

والشاشة: كيف تُغير الرقميات إدراكنا"[1]، فإن فعل الإدراك يُتعلم من التقنيات الجديدة. فعندما تظهر وسائط تواصلية جديدة، تُغير العلاقات الاجتماعية، ويعطي فيال في كتابه مثالاً على ذلك، بظهور الهاتف مطلع القرن العشرين، وتأثيره على العلاقة مع الآخرين. أن تتحدث دون أن تُرى، يُعتبر -حسب فيال-طريقة جديدة للتواجد في العالم. وفي عصرنا نستطيع أن نقول: أن تُدير عملك من بيتك، وتطلب ورقة إدارية من بيتك، أن يتعلم أولادك عن بُعد، وتتسوق افتراضيا، فذلك يعني، طريقة جديدة في الوجود. لا يتعلق الأمر إذن، بمجرد استخدام حاسوبٍ، أو هاتف محمول/ ذكي، أو مُعالجة بيانات، أو استثمار تطبيقات ووسائط تكنولوجية في الخدمات التواصلية، الأمر أبعد من ذلك؛ لأنه يتعلق بوجود جديد للإنسان، في نسق مختلفٍ، يسمح له بإنتاج إدراك جديد لذاته وللعالم.

ويكفي أن نتمعن في طبيعة الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها أغلب الدول لمواجهة وباء كورونا، واستعمالها تطبيقات تكنولوجية ترصد حركات المواطنين، وأماكن تنقلاتهم من أجل رصد الحالات، وإذا كان الإجراء التكنولوجي يهدف إلى تتبع انتشار الوباء، فإنه يُقيد حرية الفرد، ويجعل خصوصياته تتعرض للمتابعة والمراقبة. وهو إحساسٌ/فعلٌ سيجعل الفرد يُعيد النظر في تحركاته، وانتقاله جغرافيا، والانتباه إلى كلامه وانفعاله. إن دخول تطبيق تكنولوجي خاصة عندما يكون بصيغة قانونية، فإنه يُؤثر في سلوك الفرد، ويُجبره على اختيار سلوكٍ جديد في حياته، وفي تعامله مع المكان والزمن والإنسان.

ولعل الاقتراب من وجودنا المختلف مع الثورة الرقمية، وإحساسنا بالتغير في نمط الحياة، وطبيعة الاهتمامات، وشكل التواصل الاجتماعي، قد اتضح بالملموس مع وباء كورونا الذي ضرب أغلب العالم، بدأ بالصين، لينتقل إلى العالم، تاركا وراءه ضحايا بشرية، وأزمات اقتصادية، وتوترات سياسية، وأعطابًا اجتماعية ... وسؤالا كبيرا حول: كيف سنوجد بعد كورونا؟، وتتوالد عن السؤال أسئلة متناسلة: ما الذي ضاع منا زمن كورونا؟ ما الذي أخذته الجائحة معها، وهي تودع العالم، بعد أن ألقت به في حيرة فلسفية حول معنى وجوده اجتماعيا، واقتصاديا وسياسيا وثقافيا؟ وكيف ستعيش البشرية علاقاتها الاجتماعية، بعد

1Vial,Stéphane, L'être et l'écran, Comment le numérique change la perception.

أن جربت تحت ضغط الوباء التباعد الاجتماعي؟ هل سيتوارى الرعب الذي حملته كورونا معها، أم سيستمر يُلازم الإنسان ويُلاحقه خاصة مع التضارب السياسي حول مصدر الوباء، واللقاح؟

لقد حضرت التكنولوجيا باعتبارها وسائط خدماتية، استعانت بها الدول والمجتمعات لتجاوز محنة الوباء. فقد أرغمت أغلب الشعوب على الحجر المنزلي، والالتزام بالتباعد الاجتماعي، مما جعل الحياة الخارجية تتوقف، والحركة تُشل، والشوارع تُفرغ، وتُصاب أكبر ساحات العواصم بالصمت الرهيب. أمام هذه الأزمة حضرت التكنولوجيا باعتبارها منقذ الأفراد ومخلصهم من أزمة الحركة.

قبل كورونا، كانت مساحة النقاش مفتوحة على قضايا الموقف من التكنولوجيا، وقدرتها على تدبير الحياة الاجتماعية والاقتصادية للإنسان، وخطورة استعبادها للأفراد، وذلك من خلال أصوات تصر على طرح الجانب السلبي لهذه التكنولوجيا، وتحليل منطق تحكم الآلات الذكية في الإنسان، وفقًا لمنطقها الخاص، واضطرار الإنسان للتكيف مع جميع التطورات التكنولوجية،لمسايرة سرعتها، والشعور بالتحرر من العالم المادي، وبالحرية والاستقلال الذاتي، مما يجعله يبتكر أضعاف الآلات الموجودة، وبتقنيات وجودة عالية، للبقاء في السباق والتحكم في واقعٍ ينفلت منه، غير أنه كما يرى الباحث المتخصص في نقد التكنولوجيا "سيدريك بياجيني" Cédric Biagini"في كتابه[1]، يظل يعتمد أكثر فأكثر على الآلات التي تمتلكه أكثر من امتلاكه لها.

ولهذا يتحدث سيدريك عن كيف استعمرت الإنترنت والتكنولوجيا الحديثة حياتنا، وأثرت في التربية والتعليم وفي المحتوى العلمي والبيداغوجي، وكيف سلكت الرأسمالية الرقمية الهروب التكنولوجي إلى الأمام لتوليد أرباح هائلة، ولكن أيضًا لخلق خيال قوي بما فيه الكفاية، لتخضع له الشعوب[2]. كما أن رفض التكنولوجيا أو البحث في جوانبها السلبية

1انظر كتابه:

Cédric, Biagini, L'emprise *numérique. Comment Internet et les nouvelles technologies ont colonise nos vie Montreuil.*

2المرجع نفسه، ص351.

في تغيير المجتمع شكل خطاب المواجهة، خاصة في البلدان النامية، أو البلدان التي ما تزال تقف عند مستوى استخدام/استهلاك التكنولوجيا؛ إذ يظهر تأثير التكنولوجيا المباشر على تغيير المجتمع، وإخراجه من تعاقداته المألوفة، بل إنّ الجدال حول الأخذ بالتكنولوجيا في حقول معينة (الكتابة/القراءة، التعليم....) أو رفض التعامل معها كان قويا في طروحات كثيرة حتى وإن كان واقع التكنولوجيا يتجاوز هذا الجدال وذاك النقاش، غير أن زمن كورونا وما بعده، أقحم المجتمعات في الشرط التكنولوجي بغض النظر عن مستوى تنميتها التكنولوجية.

لقد حضرت التكنولوجيا زمن الوباء منقذا واقعيا وعمليا للإنسان، بل لعبت دورا دفاعيا عن الإنسان، وصحته، وعمله، وتعليمه، وإعلامه، ومختلف الخدمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية. تقول الدكتورة سوزان بيلر (Susanne Bieller) الأمينة العامة للفيدرالية الدولية للروبوت: "إنّ الروبوتات لديها إمكانات كبيرة لدعمنا في وباء كورونا الخطير الحالي"[1].

فقد تطلب الوضع الوبائي التكيف مع الوضعية الجديدة التي فرضها الوباء، بإلزام الشعوب على الحجر المنزلي، وإجبار الناس على التباعد الاجتماعي، فكان لا بدّ من التعايش مع الوضع، وتكييف الحياة الجديدة مع شروط الوباء عبر خدمات التكنولوجيا. وقد ظهر مفهوم التكيف أو التعايش مع الوضعيات الجديدة باعتباره احتمالاً من الاحتمالات الممكنة الحدوث، وبالتالي، على الدول تبني استراتيجيات المواجهة والدفاع في الوقت ذاته بواسطة التكنولوجيا وخدماتها.

وبقراءة سريعة، تأخذ طابع الملاحظة، فإن التأخر في التعامل مع التكنولوجيا بالإنتاج المُثمر للإنسان، وتبني خدماتها التي تُقدم للإنسان اقتراحات تنموية، وحلولاً للمشاكل، ينعكس على سياسة مواجهة الأوبئة أو الأزمات. فالصين التي كانت نقطة انطلاق الوباء، وتحديدًا بمدينة ووهان، استخدمت الأسلحة التكنولوجية لمواجهة تفشي الفيروس بالذكاء الاصطناعي، مثل روبوتات تسليم الطلبات، التي تكلّفت بنقل الحاجيات الضرورية (السلع)،

1https://ifr.org/ifr-press-releases/news/robots-help-to-fight-corona-virus-sars-cov-2-worldwide

والإمدادات الطبية العاجلة، كما مكّنت البيانات الرقمية من حلّ المشاكل التي واجهها الاقتصاد. ووفقًا للفيدرالية الدولية للروبوت فإنّ الصين "هي الدولة التي تمتلك أكبر عدد من الروبوتات الصناعية منذ عام 2016. وستنتج الصين في عام 2020م، 150.000 وحدة من الروبوتات، وسيكون لديها 950300 روبوت صناعي قيد التشغيل"[1].

وبالتالي، فإنّ الأمر لم يعد مجرد خيار استراتيجي للتنمية؛ بل أضحى ضرورة آنية من أجل مواجهة الوباء والمرحلة التي ستليه. إنَّ السؤال حول التعامل مع التكنولوجيا قد يتلاشى مع فرض التكنولوجيا منطق شروطها، خاصة بالنسبة إلى الدول التي لم تحقق تنمية تكنولوجية؛ لأنها ستظل تُذكر الشعوب والدول بخدماتها الإنقاذية الدفاعية اتجاه وباء كورونا، غير أنّ سؤالا جديدا؛ بل يمكن اعتباره قديما، إنما أكثر تطورا في صيغته، سيُطرح بشدة، وسيحول الثورة الرقمية من سلطة الإنقاذ للإنسان إلى موضوع للمحاكمة، إذا ما اعتُمِدت في مراقبة حركات الناس، وفي التحكم في مصائرهم، والعبث بذكائهم.

لهذا نطرح الأسئلة التالية حول وضعية مفاهيم مكتسبات الثورة الصناعية وعصر الأنوار، الذي أعاد الثقة إلى عقل الإنسان وفكره:

- ما هو وضع الإنسان وحقوقه ووضع الديمقراطية بعد كورونا؟

- هل سنصل مع الثورة الرقمية الخامسة (الروبو، إنترنت الأشياء) إلى تشييء الإنسان بطريقة جديدة، مثلما حدث مع الثورة الصناعية؟

- هل ازدهار العلم/التكنولوجيا ووصوله إلى قمة الابتكار والإبداع مرهون بإخراج الإنسان من إنسانيته؟

- وهل يمكن الحديث عن أخلاقيات التكنولوجيا؟

إنه حقل فلسفي ينفتح وبقوة، على تأثير التكنولوجيا على مفهوم "الإنسان"، وحقه في احترام خصوصيته، وأمن معلوماته الشخصية، والتعامل معه بديمقراطية تصون كرامته

1https://www.china-briefing.com/news/lindustrie-de-la-robotique-en-chine/

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وكما قال أحد الفلاسفة، فإنَّ الأسئلة الفلسفية تظهر مرة أخرى، عندما يواجه العالم حقيقة تتجاوزه، وتكون حياة البشر على المحك.

لن يتأسس هذا النقاش الفلسفي إلا بالانخراط في الثورة الرقمية، من أجل الوعي باستخدامها، واستثمار خدماتها، وفي الوقت نفسه، الوعي بتحدياتها وخطورتها في المس بإنسانية الإنسان. وهذا يتطلب انخراط العلوم الإنسانية في التفكير في التكنولوجيا وتحليل تأثيراتها على الحياة والمجتمع والإنسان.

ولعلّ ما يدعو بقوة إلى الانخراط في الثورة الرقمية بالإنتاج والاستخدام والسؤال الفلسفي واعتماد الإنسانيات في تدبير التفكير في الرقميات بين خدمتها للإنسان وتحدياتها لإنسانية الإنسان، هو انتقال العالم إلى عصر جديد بعد الجائحة، بدأت معالمه تظهر باسم "عصر ما بعد كورونا". لم يؤد انتشار فيروس كورونا الجديد المسبب لكوفيد-19 إلى أزمة في الصحة العامة في العالم فحسب؛ بل تسبب أيضًا في تعديل وتغيير الهيكل الاقتصادي العالمي في عصر "ما بعد الجائحة". وفي هذا الوضع، بات التمسك بتطوير "إنترنت الأشياء" وتسريع بناء البنية التحتية للاقتصاد الرقمي، علاوة على تعزيز التنمية عالية الجودة وفعالية التكنولوجيا والاقتصاد الرقميين اتجاها لا رجعة عنه[1]. إنَّ الصين التي استخدمت سلاح التكنولوجيا في حربها ضدّ كورونا، تُقدم الشرعية الاستخدامية للتكنولوجيا باعتبارها المحرك الجوهري للاقتصاد في عصر ما بعد كورنا، وتتجه نحو تحفيز تنمية الاقتصاد الرقمي الفائق الجودة. فالبيانات الرقمية تُشبَه اليوم بِ"بترول القرن الحادي والعشرين"[2] الذي يعني أنَّ البشرية ستدخل الثورة الرقمية الخامسة بقوة، وبذاكرة زمن الوباء، وكلّ من يتأخر في الولوج لهذه الثورة، سيجد نفسه خارج المستقبل.

لكن، التكنولوجيا التي أنقذت البشرية، أو بتعبير أكثر موضوعية، شكّلت سلاحًا لمواجهة الوباء، في القطاعات الصحية والتعليمية والإدارية ومختلف الخدمات الاجتماعية،ستنتقل

1انظر: مقالة خاصة: فرص جديدة أمام الصين والدول العربية لتطوير التكنولوجيا والاقتصاد الرقميين في عصر ما بعد الجائحة. http://arabic.china.org.cn/txt/2020-05/07/content_76017047.htm

2المرجع نفسه.

بالبشرية إلى عصر ما بعد كورونا بتحديات كبيرة، ستشكل أسئلة فلسفية وحقوقية حول معنى الوجود الإنساني.

من هنا، تزداد ضرورة الاهتمام بعلاقة الإنسانيات بالرقميات لإحداث نوعٍ من التوازن في التفكير في تأثير الرقميات في الإنسان والمجتمع والاقتصاد.

2. الرقميات، كورونا، تفكيرنا وتحديات المواجهة

شغلنا التفكير في كتاب "الإنسانيات والرقميات" منذ مدة طويلة، وبدأنا الاشتغال عليه بنشر دراسات ومقالات منفصلة، وتأسيس مشروع السلسلة الثقافية المتخصصة في الثقافة الرقمية "روابط رقمية"[1]، إضافة إلى استمرارنا في إصدار كتب حول واقع الرقميات على الأدب والقراءة. غير أنّ الاهتمام بالثقافة الرقمية كان باستمرار من داخل العلوم الإنسانية، سواء باعتبارها خلفية في التفكير واشتغالها بموضوع الإنسان وإنتاجه الرمزي والفكري والإعلامي والاجتماعي، أو تحول العلوم الإنسانية إلى موضوعٍ للنظر والتحليل، بعدما تغير مفهوم الإنسان موضوعها. غير أنّ ظهور وباء كورونا، واجتياحه للعالم، وإثارته لقضايا صحية واقتصادية واجتماعية وسياسية، وإجبار البشرية على مُغادرة العالم الخارجي، والاعتكاف في البيوت، ضمن إجراء التباعد الاجتماعي، أعطى للتكنولوجيا شرعية تصريف تحديات الوباء، وإنقاذ ما تمّ تعليقه بسبب الجائحة. وعليه، نشأت علاقة جديدة بين التكنولوجيا والوباء، ضمن استراتيجيات تدبير الأزمات والأوبئة. كان اشتغالنا بكتاب "الإنسانيات والرقميات" مُستمرا، وبظهور جائحة كورونا، تطور منحى الكتاب نظرًا إلى دخول التكنولوجيا بقوة إلى حياة الناس، بجعلهم ينتقلون للعيش في بيئة افتراضية، نتيجة استخدام التكنولوجيا للتواصل مع الحياة الخارجية، وإدارة العمل، وطلب الخدمات. فكانت تحديات للتفكير نفسه، وهو يشتغل على العلاقة بين الإنسانيات والرقميات. تجلى هذا المنحى، وتلك التحديات في ملاحظتين اثنتين، هما كالتالي:

1تأسست روابط رقمية سنة 2018، صدر منها ثلاثة أعداد هي كالتالي: العدد الأول بعنوان "نحن والثقافة الرقمية"، والعدد الثاني "الأدب الإلكتروني العربي آفاق جديدة ورؤى عالمية"، والعدد الثالث "الأدب الرقمي ونظرية الأدب"، والعدد الرابع في طور الإنجاز بعنوان، "التكنولوجيا في زمن كورونا".

الملاحظة الأولى: أننا نفكر في عصر ما بعد كورونا ونحن ما زلنا نعيش مرحلة كورونا بكل تحدياتها وأسئلتها، وما تُحدثه فينا من تحولات على مستوى الذات وعلاقة الذات بالمجتمع، وما نلاحظه من انزياحات لمجموعة من المفاهيم شكّلت حياتنا وتصوراتنا للحياة، وإدراكنا للعالم وللإنسان. مفاهيم نراها اليوم تنزاح عن دلالاتها المألوفة التي ورثناها عن زمن الحداثة. يبدأ تفكيرنا إذن، من الانتباه بتحول المفاهيم. وهذا التحول يبدأ أولاً بالإحساس؛ لأنّنا نعيش المرحلة ونتأثر بها، ونرى مظاهر التحول بسببها فينا. يبدأ التحول فينا ومن حولنا، فيتحول تفكيرنا؛ لأنّه يخرج عن المألوف.

الملاحظة الثانية: أننا نُفكر في موضوعٍ ننتمي إليه. عندما كنا نفكر في المجتمع الصناعي والحداثة وكيف تشكلت مفاهيم اعتمدنا دلالاتها، مثل المدينة والدولة والفرد والعولمة والعلاقة الاجتماعية والذات والآخر وغير ذلك من المفاهيم التي تشكلت منذ عصر النهضة وزمن الحداثة، كنا نقرأ عن هذه المواضيع باعتبارها زمنًا قد تشكل في مرحلة تاريخية، وكنا نفهمها كما قدمها لنا المفكرون والعلماء؛ أي كنا نتواصل مع هذه المعرفة باعتبارها تمثلات وتأويلات مفكرين. بتعبير أدق، كنا نحرص على فهم القراءات والتمثلات، وهو أمرٌ موضوعي، بحكم المسافة التي تبعدنا عن زمن الأحداث والظواهر والانتقالات التاريخية. ولهذا، فإنَّ مسؤوليتنا التاريخية، ربما، كانت أقل من مسؤولية الذين عاشوا الانتقال التاريخي، وكانوا شهودًا على الثورات الصناعية، ولمسوا التحول بشكل مباشر في حياتهم ولباسهم وطريقة أكلهم وشكل تعبيرهم وتفكيرهم. وربما، لهذا السبب تكثر القراءات، والاجتهادات، والتنظيرات الساعية إلى تقريب تلك التمثلات.

نحن نعيش اليوم الموضوع أو الحدث، وننتمي إلى زمنه، ونلمس تأثيره فينا، وفي طريقة حياتنا، ونوعية تواصلنا الاجتماعي، ونفكر فيه بموجب تأثيره فينا. نحن إذن، في الوقت ذاته، موضوع التحول والذات المُفكرة فيه. وهنا، التحدي الكبير لمعنى وجودنا في هذا الظرف التاريخي. بمعنى، نحن نصوغ تمثلات حول الموضوع؛ أي نبني وجودًا لنا مستقبلاً، لأننا سنُقرأ ونُفهم من خلال أجيال قادمة.

العالم تأويلٌ مُستمر بموجب التحولات التاريخية.

ونحن اليوم شركاء في هذا التأويل.

-كيف نصنع تأويلاتنا؟

-هل نعتمد مرجعيات سابقة لبناء تأويل مُغاير لعصر ما بعد كورونا؟

-هل عصر ما بعد كورونا يفرضُ مرجعية جديدة؟

ربما الوقت لم يحن بعد لتحقيق تحليل موضوعي بلغة العلم حول الموضوع. مع ذلك، نستطيع أنْ نرصد بعض المظاهر، ونصوغ بعض الأسئلة من وحي ما نعيشه مع الوباء، وما نلمسه من تغيرات تطرأ تدريجيا على نمط حياتنا وعلاقاتنا بذاتنا وبالآخر.

ماذا نقصد بعصر ما بعد كورونا؟ وهل بالفعل سننتقل إلى عصر جديد؟ وما الذي يعطينا الصلاحية للحديث عن عصر؟

كان العالم قبل كورونا يسير بسرعة الذكاء الاصطناعي؛ أي سرعة الثورة الرقمية الرابعة، وفي بعض الدول بداية ظهور مظاهر الثورة الرقمية الخامسة خاصة الروبو وإنترنت الأشياء. وكان الإنسان يتشكل وسط/مع هذه السرعة، وتتغير حياته وسلوكه وتصوره لذاته وللعالم. كان الإنسان يتجه نحو الأمام.

فجأة حلَّ الوباء، فتوقت السرعة وأغلقت الحدود والمطارات والموانئ، وعاد الناس أدراجهم. وحلّ التباعد الاجتماعي. فجأة، انتقل الناس من الحياة في البيئة الواقعية إلى البيئة الافتراضية التي أنقذت البشر من العزل المميت.

فكانت التكنولوجيا هي المنقذ والمخلص، والسلاح الذي تدخل به الدول الكبرى عصر ما بعد كورونا، لتُدير به الاقتصاد والصحة والسياسة والبشر. وعليه فإنّ العقل البشري مُطالبٌ-كما هو الأمر مع كل انتقال تاريخي-باليقظة التاريخية والتقنية، سواء باستخدام التكنولوجيا لتحسين جودة الحياة، أو للوعي بالتأثير السلبي للتكنولوجيا على حياته وإنسانيته وخصوصياته.

السؤال الآن هل هذا الإنقاذ سيكون عبارة عن وصايا مُلزمة للبشرية، وكلّ مرة تُذكر البشرية بهذا المنقذ، ومن هذا الشرط الإنقاذي تستطيع التكنولوجيا أنْ تُمارس قانونها

الخاص على العقل الإنساني ثم على خصوصياته وحريته. وكيف ستخرج البشرية من كهوفها بعد تلاشي الوباء؟ هل ستخرج وهي مثقلة بتمثلات زمن الكهوف والبيئة الافتراضية والحياة عن بعد؟ هل سيرعبها نور الواقع؟ كيف ستعيش تجربة اكتشاف الذات بنور إدراكات الواقع المادي؟ ما الذي سيتبقى من الحياة في البيئة الافتراضية؟ هل تملك البشرية القدرة على تدبير الإدراكات الجديدة للذات وللعالم؟ كيف سيكون شكل العلاقة مع التكنولوجيا؟

تتحول الإنسانيات والرقميات إلى ضرورة ثقافية لمواجهة تحدي التكنولوجيا للإنسان وحياته وخصوصياته، بالتحليل والتربية على ثقافة التكنولوجيا.

مداخل مفاهيمية

1. في مفهوم الإنسانيات والرقميات

نلتقي بتعبيرات اصطلاحية متعددة تدور حول التكنولوجيا والعلوم الإنسانية من خلال تحديدات مثل: "الإنسانيات والرقميات"، و"الإنسانيات الرقمية"، و"الإنسانيات الرقميات"، و"العلوم الإنسانية والتكنولوجيا". ولعلها تعبيرات اصطلاحية تشتغل في المجال نفسه.

غير أنَّ العلاقة بين الإنسانيات والرقميات هي علاقة تفاعلية خدماتية وظيفية للحقلين معا. لا نقصد بهذه العلاقة خدمة العلوم الإنسانية للرقميات، وتأثير الرقميات في العلوم الإنسانية فقط، وهذا فعلٌ قائمٌ لا شكّ في ذلك، بحكم منطق العلاقة بين الحقلين، إنما التفكير في العلاقة هو التفكير في التحولات التي يعرفها الإنسان والمجتمع بحكم عامل التكنولوجيا من جهة، واشتغال العلوم الإنسانية على موضوعٍ (الإنسان/المجتمع) وقد تغير موقعه ومفهومه وتفكيره. وهو أمرٌ يتعلق بالدرجة الأولى بتجديد الرؤية الفلسفية، من أجل تحليل تأثيرات التكنولوجيا على الإنسان. وقد اشتغل الباحث الفرنسي "ستيفان فيال" (*Stéphane Vial*) برؤية فلسفية على الثورة الرقمية في كتابه "الكائن والشاشة" " L'être et l'écran".

لا تتحقق هذه العلاقة إلا بتغيير العلوم الإنسانية لمناهجها ورؤيتها للإنسان والمجتمع والتاريخ. إنَّ التفكير في الإنسانيات والرقميات هو تفكير في مسار التحول الذي تعرفه العلوم الإنسانية وهي تفكر في الإنسان وقد تغير وضعه وبيئته وتفكيره بفعل الفاعل التكنولوجي.

وعليه، فنحن نشهد ظهور مفاهيم ومصطلحات ونظريات جديدة مع هذه العلاقة. وهي مصطلحات تُحدّد وضعية العلوم الإنسانية اليوم، ومجال وموضوعات ومناهج اشتغالها، وطبيعة التحول النموذجي لهذه العلوم و"الذي تفرضه مراقبة صعود قوة التفرد"[1]. فعلم

1*Jean BESSIÈRE:* La littérature est-elle critique?Https://journals.openedition.org/traces/2383

الاجتماع لن يستمر في منهجيته ورؤيته للمجتمع الذي يعرف تبدلات عميقة مع الإقامة في البيئة الافتراضية، وعلم التاريخ سيضطر لتطوير منهجه ومن ثمة رؤيته، بعدما دخل التاريخ إلى الرقمنة، وتغير مفهوم الوثيقة والحدث والذاكرة، أما علم النفس الذي عرف منذ تأسيسه تحولات في نظرياته ومناهجه، فإنه مُقبلٌ-بل أقبل-على إدراكات مختلفة للإنسان وحالته ووعيه، ويطرح الافتراضي أمامه سؤالاً جديدًا في تحديد وعي الفرد/الجماعة ولاوعيه. إن تغير الإنسان باعتباره موضوع العلوم الإنسانية، سيؤدي-حتما-إلى تغيير هذه العلوم باعتماد الفاعل التكنولوجي في عملية الإدراك من جهة، وباستخدام هذا الفاعل في تطوير حقلها المعرفي من جهة أخرى.

لهذا، وبحكم الموقع المختلف للإنسان في البيئة الافتراضية واستخدامه الوسائط التكنولوجية والمواقع الاجتماعية، وتقاسم أفكاره وأحلامه وتجاربه وخبراته مع آخرين، فقد ظهرت مفاهيم جديدة تحدد طبيعة هذا الوجود الافتراضي-الشبكي، وتبنت العلوم الإنسانية مصطلحات جديدة لمناهجها وهي تحلل الوضعية الجديدة للإنسان والمجتمع.

إنّ التكنولوجيا ليست مجرد تقنية أو أداة إنما هي تصور ورؤية. فاستخدام الإنسان لأدواتها ووسائطها، يفعل في تغيير الإنسان ومجتمعه وحياته، ويؤثر في ماضيه وحاضره، ويفعل في مستقبله. ولعل واقع تأثير التكنولوجيا في حياة الأفراد ومجتمعاتهم قد لا يُعد جديدا، بحكم انشغال فلاسفة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على دور التقنية في تغيير المجتمع. غير أنّ الجديد في التكنولوجيا الرقمية أنّها تتميز بميزتين اثنتين على الأقل، تجعلها أكثر تحديًا للتغير الاجتماعي، والتحول التاريخي، وهما: سيولة التدفق المعلوماتي، والسرعة الفائقة.

تحدد عملية الانتقال المعرفي الجديد ضمن النسق الرقمي مجموعة من المفاهيم الجديدة، التي تُشكل منظومة مفاهيم التحولات سواء في تجليات الرقمي على الإنسان والمجتمع والاقتصاد والسياسة، أو في مناهج تحليل هذه التجليات الرقمية مثل: المعلومة، والتدفق المعلوماتي، والذكاء الاصطناعي، والافتراضي، والبيئة الافتراضية، والوجود الشبكي، والتفاعل، والتقاسم، وبرونيتاريا، وانتوغرافيا وغير ذلك من علبة مفاهيم النسق الرقمي.

2. الذكاء الاصطناعي

لعل من أهم المفاهيم ارتباطًا بالثورة الرقمية، يتمثل في مفهوم "الذكاء الاصطناعي". عند تحديد مفهومٍ ما في أي حقلٍ معرفي، أو مجالٍ علمي، وتحديد أصله المعرفي، ومنطلقه الفلسفي، فإنّ الهدف من ذلك يكون من أجل صياغة إدراكٍ له، تستعمله الذات العارفة في اشتغالها به أو عليه. غير أنَّ تحديد مصطلح "الذكاء الاصطناعي"، يأتي مع أسئلة كثيرة تُحيط به، وتُحاصر -في غالب الأحيان-محاولات الاقتراب من تحديده المفهومي، مثل: كيف يمكن الحديث عن ذكاء تقني أو آلي؟ إذا كان الذكاء خاصية بشرية، كيف يمكن الحديث عن ذكاء اصطناعي؟ هل يتعلق الأمر بتحدي التكنولوجيا للذكاء البشري؟ هل يتجاوز الذكاء الاصطناعي الذكاء البشري؟ هل يمتلك الذكاء الاصطناعي القدرة على الوعي بالأشياء؟ هل تساوي الآلة الإنسان؟ هل للآلة عقل؟ هل يشكّل الذكاء الاصطناعي خطرًا على الإنسان؟ هل تُدمر التكنولوجيا الخصائص الطبيعية للإنسان؟ هل هي مُؤامرة على الإنسان؟ كيف يُعقل التفكير في ذكاء تكنولوجي؟

تُشكل هذه الأسئلة وغيرها كثير مجموعة من التحديات الثقافية والذهنية التي تُواجه الاقتراب من التحديد المفهومي لـ"الذكاء الاصطناعي". ولعلّها أسئلة اعتُبرت خيالية زمن التفكير فيها منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، ولكن التغلب على حدتها، تُجووِز بالتصورات الفلسفية والأفكار العلمية الرياضية والفيزيائية، وتوحيد جهود وخبرات العلماء في علوم الحاسوب والرياضيات والفيزياء والمنطق التي بدأت سواء في أبحاث علماء الرياضيات والحوسبة مثل عالِم الرياضيات البريطاني "آلان تورينغ" Alan Turing أو في أساطير الخيال العلمي. غير أنها أسئلة ما تزال تطرح، وتشتغل بحدّة اليوم خاصة في المجتمعات التي تعرف فيها التكنولوجيا سيرًا بطيئًا، مما يُؤثرُ في ثقافة الوعي بأهمية التكنولوجيا في مُعالجة المشاكل، ومساعدة الإنسان في تحقيق مكتسبات عملية في كلّ المناحي.

وعليه، فإنّ الذي يُسهم في تخفيف حدة هذه الأسئلة، يتجلى في جانبين مُترابطين ومتفاعلين، وهما: الإنتاج والابتكار التكنولوجيين والثقافة التنويرية للتكنولوجيا. تتجلى

أهمية هذين الجانبين في جعل التكنولوجيا واقعًا عمليًّا، يُقدم خدمات للإنسان، تجعله يُحقق التنمية، ووعيًا معرفيًّا يُؤمن الاقتراب من التكنولوجيا بوصفها معرفة تحتاج إلى ثقافة تصريفها.

-ماذا نقصد بالذكاء الاصطناعي؟

-ما هو هدف الذكاء الاصطناعي؟

-وكيف يخدم هذا الذكاء الإنسان؟

يتركب مصطلح "الذكاء الاصطناعي" من مفهومين اثنين: من جهة "الذكاء" ويهدف إلى الاقتراب من السلوك الإنساني، ومن جهة أخرى "الاصطناعي" الذي يعني تحقيق هذا الذكاء بواسطة الآلة والروبو.

تتّفق مختلف التحديدات للذكاء الاصطناعي على أنه عبارة عن مجموعة من النظريات والتقنيات والعمليات لإنتاج آلات لديها القدرة العملية على محاكاة الذكاء البشري. أو العلم الذي يسعى إلى جعل الآلة تقوم بنفس المهام التي يُنجزها الذكاء البشري.

يركز المصطلح – كما نلاحظ– أكثر على مفهوم "محاكاة" ذكاء الإنسان، بتعبير "الذكاء الاصطناعي" أو "الآلة الذكية" عِوض "ذكاء الآلة"؛ لأنّ العملية تنتقل من الآلة باعتبارها أداة للخدمة الإنسانية، وعاملاً مُساعدًا للإنسان كما حدث مع مفهوم "الآلة" مع الثورة الصناعية الأولى (1784م) باختراع الآلة البخارية، والثورة الصناعية الثانية (1870م) باستخدام الطاقة الكهربائية، حيث عوضت الآلة عمل الإنسان البدني، فساعدته على تحمل صعاب العمل والحياة، ومكنته من تدبير الوقت، واستثماره. أمّا مع الثورة الرقمية الرابعة (الذكاء الاصطناعي، البيانات الضخمة)، التي تعدّ استمرارًا وتطورًا للثورة الرقمية الثالثة (1969م) فإنَّ الآلة تعوض الذكاء/العقل الإنساني. وبالتالي، فإنَّ الأمر لم يعد يتعلق بخدمات التكنولوجيا للإنسان، مع تحكم العقل البشري في هذه الخدمات، إنما الانتقال إلى مرحلة يتساوى فيها عمل الآلة الذكية بعمل الإنسان العاقل، بل قد تتجاوز الآلة –أحيانًا- الإنسان، عندما تقدم حلولاً استعصت على العقل البشري. ننتقل إذن، من الآلة وهي تعوض ما اصطلح عليه بجسم الإنسان أو بدنه، إلى التكنولوجيا وهي تحاكي ذكاء الإنسان،

وتكتسب ذكاءها الخاص. ندخل في هذا المستوى من التشغيل التكنولوجي إلى ما أصبح يُعرف اليوم بمفهوم "الأتمتة" *Automation/Automatisation* التي تعني التشغيل الآلي الذاتي، وهو يختلف عن مفهوم "المكننة" التي تحيل إلى الماكينة، وتعني استخدام الآلة لتوفير الجهد البشري والوقت، أما الأتمتة فهي تشغيل آلي ذاتي، في استغناء تام عن الإنسان. يمكن القول إنه يعني استقلال الآلة عن الإنسان في عملها. إنها عملية جعل الإجراءات التكنولوجية والإلكترونية تعمل بشكل دقيق وسليم، ربحًا للوقت وزيادة في الإنتاج. ولعله مفهومٌ يُعبر عن تاريخ تطور الآلة وعلاقتها بالإنسان.

قد نصل في مستوى الذكاء الاصطناعي إلى محاكاة العقل البشري بما هو مرجع للقرارات وحلّ للمشاكل، واقتراح للحلول. يتحول الإنسان مع هذا الذكاء التكنولوجي إلى مرجع لاكتشاف نسق عقله. لكن، هل تقف المحاكاة عند مستوى ذكاء الإنسان، ومساعدة الذكاء البشري في خدماته الذهنية والعملية والتدبيرية، أم إنه ذكاءٌ يتجاوز نسق الذكاء البشري، ويُحول الإنسان من مرجعٍ إلى أداةٍ؟ وهل للبرامج الحاسوبية القدرة على إنتاج عقلٍ مُدركٍ للأشياء كما هو عقل الإنسان؟ هل يقف نظام اشتغال الذكاء الاصطناعي في مستوى محاكاة الإنسان، أم يتحول الكومبيوتر إلى مُنافِسٍ للإنسان بقدرته الإدراكية؟ وعندما نتحدث عن محاكاة الآلة للإنسان، هل يتعلق الأمر بمحاكاة عقل الإنسان وتفكيره أم محاكاة مهاراته وقدراته؟ وهل هناك فرق بين محاكاة العقل ومحاكاة المهارات؟ وهل هناك اتفاق فلسفي حول مفهوم المحاكاة؟

تعود بدايات التفكير في ظهور مصطلح "الذكاء الاصطناعي" إلى عالِم الرياضيات البريطاني "آلان تورينغ"[1] "*Alan Turing*" (1912-1954) صاحب الأوراق والأبحاث العلمية المهمة، التي أسهمت في اختراع أول جهاز حاسوب في التاريخ. طرح آلان تورينغ في كتابه: "آلات الحوسبة والذكاء" "*Computing Machinery and Intelligence*" اختبارا لمعرفة ما إذا كان الكومبيوتر

1هو عالم رياضي بريطاني، ولد عام 1912 في لندن وتوفي عام 1954، اشتهر بأوراقه وأبحاثه العلمية التي شكّلت الأساس للذكاء الاصطناعي. وأسهمت في اختراع أول جهاز حاسوب في التاريخ. يُعتبر تورينغ أبا لعلوم الحوسبة والذكاء الاصطناعي.كان جزءًا من مجموعة عالية السرية من مفككي الشيفرات أثناء الحرب العالمية الثانية وما تزال لأوراقه العلمية التأثير الكبير في علوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي وفك الشفرات.

ذكيا أم لا، والذي سيعرف باسم "اختبار تورينغ" عام 1950، وهو اقتراح لاختبار ذكاء اصطناعي، يعتمد على قدرة الآلة على تقليد محادثة الإنسان.

غير أن "الذكاء الاصطناعي" سيظهر أول مرة مصطلحًا وعلمًا في مؤتمر دارتموث عام 1956م، الذي يُعد الانطلاقة الحقيقية للذكاء الاصطناعي. وقد كان لظهور المصطلح حكاية تجريب واختبار قدرات الآلة في محاكاتها للذكاء البشري، من خلال طلب تقدم به أربعة علماء[1] عام 1955م لكلية دارتموث الأمريكية لتنظيم مؤتمر يجمع علماء الرياضيات ومهندسي الإلكترونيات والمنطق وعلوم الحاسوب، من أجل تأسيس ما اصطلح عليه بـ"علم الذكاء الاصطناعي" وهو المصطلح الذي طرحه عالم الحاسوب "جون مكارثي" John McCarthy (1927-2011). شكل المؤتمر الانطلاقة الفعلية لعلم الذكاء الاصطناعي من خلال العلماء الأربعة وبقية المشاركين في مؤتمر دارتموث، والذين انطلقوا من الأوراق العلمية للعالِم الرياضي "آلان تورينغ" وأسسوا علم الذكاء الاصطناعي.

ظهرت بالمقابل تجارب فكرية تسعى لتفنيد أنصار الذكاء الاصطناعي "القوي" على الخصوص، الذين يؤمنون بامتلاك التكنولوجيا لعقل شبيه بعقل الإنسان. مثل التجربة الفكرية للفيلسوف الأمريكي، المتخصص في فلسفة اللغة "جون سيرل "John Searle والتي تخيلها، تحت اسم "الغرفة الصينية" عام 1980م، ووضعها في ورقته الموسومة بـ"العقول والأدمغة والبرامج" عام 1983م.

يطلب منّا سيرل في تجربة "الغرفة الصينية" أنْ نتخيل شخصًا (سيرل نفسه) محجوزا في غرفة لديها فتحة، لا يعرف هذا الشخص اللغة الصينية كتابة ونطقًا. لكن لديه في الغرفة مجموعة من الإرشادات/ قواعد مكتوبة بالإنجليزية، ونفترض أنّ هناك شخصًا خارج الغرفة، يرمي عبر الفتحة مجموعة من الأسئلة باللغة الصينية. يُجيب الشخص بداخل الغرفة عن الأسئلة مستعينًا بالإرشادات المكتوبة بالإنجليزية، وباستخدام أسلوب الربط سيتمكن الشخص الموجود داخل الغرفة من الردّ باللغة الصينية، بطريقة تجعل السائل

1 *Claude Shannon Nathaniel Rochester, Marvin Lee Minsky- John McCarthy.*

يعتقد أنَّ الشخص بالغرفة يستطيع أنْ يفهم المحادثة الصينية، على الرغم من عدم معرفته باللغة الصينية.

استخدم سيرل مصطلح "الغرفة الصينية" لتعيين تجربة فكرية، تأسَّست على تساؤل مفاده: هل برنامج الكمبيوتر، مهما كان جيدًا ومعقدًا، كافٍ لإعطاء عقل لجهاز تكنولوجي، وأكد من خلال تجربة "الغرفة الصينية" أنّ إنشاء برنامج كمبيوتر ليس شرطًا كافيًا في حدّ ذاته. فأي آلة لكي تكون قادرة على إنتاج القصد والإدراك، يجب أن تكون لديها قوى سببية مساوية لتلك الموجودة في الدماغ[1].

وقد ساعده في طرح تجربته الفكرية، اهتمامه الفلسفي بدور "القصدية" في دراسة اللغة، وعلاقة قصدية العقل بقصدية اللغة.

لقد بنى "جون سيرل" حجة تجربته الفكرية خاصة ضدّ ادعاءات ما سمّاه بالذكاء الاصطناعي "القوي"، الذي يعتبر الكومبيوتر ليس مجرد أداة؛ بل بمجرد برمجته بشكل مناسب، يُصبح عقلاً مُدركًا للأشياء. ولهذا، يعتبر أنصار الذكاء الاصطناعي القوي أنَّ أجهزة الكومبيوتر التي تتوفر على برامج جيدة، يمكن القول إنّها تفهم، وتستطيع أنْ تُفسر الإدراك البشري. من ثم، يتجاوز الذكاء الاصطناعي "القوي" النسخة الضعيفة من الذكاء الاصطناعي، التي ترى في الكومبيوتر مجرد محاكاة للأفكار. لا يُناقش سيرل أفكار الذكاء الاصطناعي "الضعيف"؛ بل إنّه يدحض ادعاءات المُناصرين للذكاء الاصطناعي "القوي"، كما يظهر أنّ اختبار تورينغ غير كافٍ لتحديد ما إذا كان الذكاء الاصطناعي يستطيع إنجاز التفكير الواعي.

ما يريد سيرل أنْ يظهره لنا من خلال تجربته الفكرية هو أنَّ برنامج الكومبيوتر، مهما كان جيّدًا ومعقدًا، لن يكون سوى مجرد بناء نحوي لا يمكن أن يُولد أي معنى[2]، وأنّ العقل أكثر من مجرد مجموعة من القواعد النحوية التي تتعامل مع الرموز. وبالتالي، فبالنسبة إلى سيرل، فإنَّ ما يحدث داخل "الغرفة الصينية" يعادل ما يحدث داخل جهاز الكمبيوتر:

1*John R. Searlen, http://cogprints.org/7150/1/10.1.1.83.5248.pdf*

2*https://www.francoisloth.com/la-chambre-chinoise-de-john-searle/#_ftn1*

التلاعب بالقواعد التي تحكم الرموز بناءً على أشكالها. يُوضح جون سيرل في تجربة "الغرفة الصينية"، أنّ البرامج الحاسوبية تقوم – كما فعل الشخص داخل الغرفة الصينية-باتباع خطوات بدقة، وإنجاز عمليات تقنية دون فهم محتوى العمليات التي تقوم بها، إنّها تتبع تعليمات مدروسة.

تعرضت التجربة الفكرية لسيرل لمعارضة حجته خاصة من قبل علماء الكومبيوتر، ومصمّمي البرامج، ومهندسي الذكاء الصناعي، غير أنّه واجهها بحجج تنتصر للعقل البشري، وتجعل الذكاء الاصطناعي عاجزا عن تحقيق الإدراك البشري نفسه.

مع ذلك، فقد غزت المنتوجات التكنولوجية (الروبوت/الإنسان الآلي) الحياة والاقتصاد، والمصانع ومعامل السيارات والطائرات، وقطاع الإلكترونيات والإعلام، والخدمات الطبية والصحية والفندقية والسياحية، مما انعكس سلبًا على اليد العاملة البشرية. وفي الوقت الذي تعتبر فيه سوق مبيعات الربوتات ثورة تكنولوجية مهمة، فإنّها تُهدد الإنسان في عمله، وتدفعه نحو البطالة خاصة مع انخفاض أسعار الربوتات. فهل ستتكرر جملة شارلي شابلان في حواره مع صحفي: "البطالة، هذا هو السؤال الأساسي. يجب أنْ تعمل الآلات لصالح البشرية بدلاً من التسبب في المآسي والبطالة"[1]؛ إذ، يُصبح تطور التكنولوجيا هو تقدم الآلات وليس الإنسان.

ويُعبر ارتفاع تزايد الإقبال على شراء الربوتات الذكية منذ عام 2017م، عن دخول العالم إلى واقع جديد، تكون فيه الآلات الذكية فاعلة في الحياة والمجتمع والاقتصاد. وبالرجوع إلى التقرير السنوي للفيدرالية الدولية للروبوت[2] عام 2017م، نقف على مؤشرين اثنين؛ مؤشر نسبة المبيعات. فقد ارتفعت نسبة المبيعات من 16 في المائة عام 2016 إلى 30 في المائة عام 2017، لتمثل سوقًا بقيمة 16.2 مليار دولار بزيادة 21٪. وهو نمو سريعٌ في

1http://www.dvdclassik.com/critique/les-temps-modernes-chaplin

2يقدم قسم الإحصائيات بالفيدرالية الدولية للروبوت كلّ سنة تقريرين للروبوتات. انظر في هذا الصدد موقع الفيدرالية: https://www.ifr.org/

مبيعات الربوتات الصناعية، ثم مؤشر الصين التي تعدّ أكبر سوق للروبوتات منذ عام 2013م، بسبب تطوير كثافة الروبوتات الأكثر ديناميكية في العالم[1].

دخلت الصين بقوة إلى هذه السوق، وسجلت حسب تقرير 2017م زيادة في الطلب على الروبوتات الصناعية بنسبة 59٪. ولعله مُؤشر قد ظهرت نتائجه بقوة في مواجهة الصين لوباء كورونا، والحدّ من انتشاره داخل حدودها.

لقد هيمنت منذ منتصف العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين كتب الذكاء الاصطناعي التي ألفها أصحابها، خاصة المتخصصين في التقنيات والوسائط التكنولوجية، وفي ثقافة استعمال هذه التقنيات، وفي فلسفة اللغة والعقل، من أجل تقريب عالم الغد، وكيف سيكون الإنسان مع الآلات الذكية. وتوزعت تصورات هؤلاء الكتاب بين من يرى في تطور الآلة الذكية اختراقًا لعقل الإنسان، وإدخال البشرية في أوهام التكنولوجيا، وبين من ينتصر للتكنولوجيا من باب كونها تُقدم خدمات مهمة للإنسان؛ لكي يتجاوز مشاكل الحياة والاقتصاد، ويُطور أسلوب الحياة والتفكير، ويتجاوز أخطاء الإنسان، وظاهرة الفساد، فهذا مدير مدرسة ببكين، يرى أنّ روبو "كيكو" Keeko، أمامه وقت طويل ليعوض البشرية. إنه بدون لمسة إنسانية معينة. مع ذلك، يعترف المدير بأنّ الروبوتات أكثر موثوقية من البشر[2].

لقد ظهرت في هذا الصدد كتب تتعرض للذكاء الاصطناعي الذي يغير كلّ شيء في عالم جديد قيد الإنشاء، وتذهب إلى أنّ الذكاء الاصطناعي يُحدث تغييرًا عميقًا في أنماط الحياة، بدون انتباه المواطنين، ويُؤثر في القدرة التنافسية في التعليم[3]، وتكشف عن علاقة الروبوتات بالمجتمعات البشرية[4]، في المُقابل اهتمت كتبٌ بالتخفيف من خطورة الآلة الذكية؛ فالإنسان سيلعب دورًا راسخًا بجانب الآلات[5].

---

1 *https://ifr.org/img/uploads/2018-FEB-07_IFR_press_release_-_Robot_density-French.pdf*

2https://www.cnet.com/news/china-is-using-adorable-robot-teachers-in-kindergartens/

***3** Stéphane Mallard, Disruption- Intelligence artificielle, fin du salariat, humanité augmentée.*

***4**Laurence Devillers,Des robots et des hommes,* mythes, fantasmes et réalité.

5 Herve Cuillandre, Un monde meilleur: et si l'intelligence artificielle humanisait notre avenir?

يستمر الذكاء الاصطناعي في تحدي الفعل والعقل الإنسانيين، ويستمر التفكير الفلسفي في مرافقة هذا التحدي خاصة من مدخل مفهوم الوعي، وقدرة التكنولوجيا في محاكاة الإنسان في الوعي والتفكير والفهم. من هنا، تظهر المشاكل التي تواجه التفكير في علاقة الذكاء الاصطناعي بالوعي، وهي مشاكل يرجعها بعض الباحثين إلى "صعوبة تفسير الوعي، وشرح كيف يمكن أن تنشأ الذاتية من المادة (...). علاوة على ذلك، فإن فهمنا للوعي البشري يتشكل من خلال تجربتنا الاستثنائية"[1]. فهل يُفكر في الوعي الاصطناعي إذن، بمرجعية الوعي الإنساني؟ أم أن الوعي الاصطناعي هو خاصية تكنولوجية ذات علاقة مباشرة بالبيئة التي يشتغل فيها؟ هل هو وعيٌ محدد بطبيعة فعالية الذكاء الاصطناعي وقدرته على تحقيق الوعي بما يُنجزه في بيئة محددة"؟ يدعو الأمر إذن، إلى "أنْ نتحدث أكثر عن الوعي الاصطناعي ونحتاج إلى التحدث أكثر عن نقص الوعي اليوم في الروبوتات والذكاء"[2].

3. الإنسان والحاسوب والعلاقة التكاملية

شكل المؤتمر الدولي حول "الأدب الإلكتروني العربي: رؤية جديدة وآفاق عالمية"، الذي نظمته منظمة الأدب الإلكتروني العالمي، وجامعة روتشستر للتكنولوجيا بدبي، في الفترة الممتدة من 25 إلى 27 مارس 2018م فرصة ثقافية للاقتراب من علاقة العلوم الإنسانية بالتكنولوجية، من مدخل "الأدب الإلكتروني"، وذلك من خلال تجارب متطورة من حيث فلسفة الحاسوب في حياة الإنسان وفكره، ومدى استثمار هذه الفلسفة في تطوير تفكير الإنسان وإبداعه وكتاباته ورؤيته، ومن ثمة القدرة على توثيق رؤية الحاضر في المستقبل. وإذا اعتمدت المحاضرات على عرض أعمال منتجها وفق برامج معلوماتية أكثر تطورا[3]، فإن محاضرة الناقدة العالمية "كاترين هايلز"[4] قد قاربت أسئلة جوهرية فيما يخص علاقة

1Elisabeth Hildt, Intelligence artificielle: la conscience est-elle importante? https://www.frontiersin.org/articles/10.3389/fpsyg.2019.01535/full

2المرجع نفسه.

3للمزيد من التعرف على هذه المحاضرات، والعروض التطبيقية، نقترح الرجوع إلى "روابط رقمية"، العدد 2.

4كاثرين ن، هايلز: النصوص الأدبية كتجمعات إدراكية: الأدب الإلكتروني نموذجا، تر: جلال الرازي، روابط رقمية، من ص113 إلى ص138.

الحاسوب بالإنسان، وكيف يمكن التفكير في هذه العلاقة وفق رؤية إيجابية، تخدم من جهة المُستخدِم للحاسوب ومن جهة ثانية تُدعم الحاسوب الذي بتطوير التعامل معه/ به تتطور حياة الإنسان.

انطلقت الناقدة "كاترين هايلز" من طرح أسئلة حول قضايا جوهرية: كيف يتحول الفكر بسبب الحاسوب؟ كيف نخلق شبكة الفكر باستخدام الحاسوب؟ وكيف بإمكان الحاسوب أن يستعمل الفكر؟ لذلك، فإنّ أحد الأسئلة التي حاولت الناقدة الرقمية الدكتورة "كاترين هايلز" الإجابة عنها، تتمثل في: هل بإمكان الحاسوب أنْ يرى العالم بكامله؟ وإن كان ذلك ممكنًا، فما هو مفهوم الحاسوب للعالم؟

قد تبدو هذه الأسئلة مُستفزة للفكر الذي ما يزال يرفض واقع الحاسوب والذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا في حياة الإنسان، كما قد تُواجه هذه الأسئلة برفضٍ قاطعٍ، بحكم أن التفكير في الحاسوب بمنطق الفكر الإنساني يُخلُّ بجوهر الإنسان، ويحوله إلى موضوعٍ تكنولوجي. غير أنَّ مجرد طرح مثل هذا النوع من الأسئلة يُعتبر مدخلاً ثقافيًّا لتفكيك حالة القلق التي تُرافق علاقة الإنسان بالتكنولوجيا، خاصة من وجهة نظر الناقدة "كاترين" التي تعتبر الموضوع في حاجة إلى التعامل معه بعدلٍ، وأنّ الإنسان هو الرأس والحاسوب هو العامل، وبالتالي، فإنَّ هناك حاجة وظيفية وتفاعلية وخدماتية بين مكوّني هذه العلاقة، التي تُصبح متساوية بين الإنسان والحاسوب. كلاهما يساعد الآخر. تسمح هذه العلاقة المتساوية بإنتاج كثير من الفائدة حسب الناقدة الرقمية، غير أنَّ الخلل المفاجئ في تصريف هذه العلاقة، قد يُدمر الإنسان، بسبب العلاقة مع الحاسوب. لذا، فإن المشكل ليس في التعامل مع الحاسوب، وجعله مُساعدًا للإنسان، وتحويل فضائه إلى منصة لإنتاج المعنى، إنما يكمن المشكل، بل الخطورة، في طبيعة العلاقة مع الحاسوب وكيفية استخدامه.

إنّ مواجهة هذه العلاقة بصياغة الأسئلة وتحليلها، واقتراح مقاربات من شأنه أن يُسهم في تفعيل العلاقة بعيدًا عن حالة الرعب والقلق والرفض.

وعليه، فإنَّ تفكيك العلاقة بين الإنسان والحاسوب من خلال طرح أسئلة حول موقع كلّ واحد في هذه العلاقة، وأثر كل واحد في الآخر بموجب الحاجة إلى بعضهما، شكل محور

محاضرة الناقدة الأمريكية الرقمية"كاترين هايلز" التي اقترحت مقاربة أسئلة العلاقة باعتماد الفكر الذي يعتبر طريقة في تفسير المعلومات في موضوع معين، للوصول إلى المعنى. إنها طريقة تُعتمد لكي نتفهم الوضع في الحياة أو في الإعلام. كيف يمكن إذن، إنتاج شبكة الفكر باستخدام الحاسوب، من أجل تحقيق المعنى. لهذا، فإن من بين الأسئلة التي حاولت الإجابة عنها هي: هل بإمكان الحاسوب أنْ يرى العالم بكامله؟ وإن كان ذلك ممكنًا، فما هو مفهوم الحاسوب للعالم؟ من أجل الوعي بهذا التصور، تُعطي الناقدة الرقمية مثال البكتيريا التي لها في الوقت ذاته منافع وأضرار في حياة الإنسان. وبالتالي، تُصبح طبيعة العلاقة هي التي تحدد البُعد الوظيفي للحاسوب في حياة الإنسان.

أمّا عن الرعب الذي يخشاه الإنسان من الحاسوب والتكنولوجيا فإنّه ناتج عن الأفلام التي تُربك هذه العلاقة، وتجعلها مبنية على الرعب والقلق. لذا، فقد عبرت الناقدة "كاترين" في إجابتها عن سؤال الرعب من التكنولوجيا، أو ما أصبح يُعرف بـ"فوبيا التكنولوجيا" بأنها لا تخشى الحاسوب، بل إنّ الحاسوب سيساعد في تطوير الإنسان الذي سيظل هو المتحكم في التكنولوجيا.

إنّ تبادل التفكير حول علاقة الإنسان بالحاسوب، وأهمية هذه العلاقة الوظيفية والخدماتية، وإكراهات العلاقة وتحدياتها، عبر تجارب عالمية بحضور نماذج عربية، يسمح بإعادة ترتيب العلاقة مع التكنولوجيا بشكل عام. ومن ثمة، فإنَّ واقع التكنولوجيا في حياة المجتمعات بات يفرض وعيًا علميًّا وفلسفيًّا مسؤولاً بعيدًا عن خطاب الانطباع وردّ الفعل والرفض، وذلك بجعله موضوعًا بحثيًّا علميًّا داخل الجامعات ومراكز البحث العلمي. إنَّ إدخال علاقة التكنولوجيا بالعلوم الإنسانية إلى الدرس الجامعي، والبحث العلمي، ومختبرات التفكير العلمي، من شأنه أن يُغير، ليس فقط النظرة إلى هذه العلاقة، بل يشمل التغيير– بالتوازي-منظومة التعليم، ومنهجية التدريس، وطريقة التكوين. تقطع هذه العلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا والمجتمع مع القطيعة الموجودة بين العلوم الإنسانية والعلوم التكنولوجية في الدرس الجامعي والبحث العلمي في التجربة العربية. وهو وضعٌ يجعل مسافة بين المتخصصين في العلوم الإنسانية والمتخصصين في حقل التكنولوجيا، وكأنّ كلَّ تخصص يشتغل بفضاء غريب عن فضاء الآخر. تسمح العلاقة بالتكنولوجيا بإقامة جسر تواصلي

وتفاعلي ووظيفي بين كلّ التخصصات التي تتلاقى في منطقة هذه العلاقة لتبحث وتفكر في تطور فكر الإنسان وحياته وإنتاجاته وإبداعاته وكتابته بدعم من التكنولوجيا.

إنّ المدخل الموضوعي لتفكيك هذه العلاقة، والسماح للفكر بالاشتغال بعقلانية تتماشى وواقع التكنولوجيا في الحياة اليومية، يتمثل في تأسيس مختبرات علمية داخل الجامعات، تلتقي فيها التخصصات: التواصل وعلم الاجتماع واللسانيات والفلسفة والتصميم والبرامج المعلوماتية والفيزياء وهندسة الصوت والأدب والتاريخ، وتجعل المتخصص في الفيزياء يجلس بجانب المشتغل بالفلسفة، ومصمّم البرامج يعمل مع اللساني وغير ذلك. فلم يعد ممكنًا العمل بمنطق الجزر في البحث العلمي، كما لم يعد مقبولاً ترك كليات العلوم الإنسانية بعيدة عن الفكر التكنولوجي، كما أنَّ الزمن التكنولوجي المهيمن لم يعد يسمح بإهانة البحث العلمي من خلال إفراغه من كلّ جدوى وظيفية. فالمختبرات العلمية هي فضاء للتفكير العلمي في قضايا شائكة، واقتراح إمكانيات من أجل الفهم، وتطوير الوعي بشكل عقلاني. أمّا عندما تظلّ المختبرات مجرد رقمٍ في لائحة منجزات شكلية، وعبارة عن لقاءات يتيمة حول مواضيع مستهلكة في محتواها وأسئلتها وطريقة التفكير فيها، فإنّ ذلك يكشف -بصورة واضحة-عن وضعية البحث العلمي الذي ما يزال يشتغل بمنظور تقليدي.

ففي حوار ثنائي جمعنا في مؤتمر "الأدب الإلكتروني: رؤية جديدة وآفاق عالمية" بالباحث والكاتب الفرنسي المتخصص في الدراسات الرقمية "فليب بوتز" بجامعة السوربون 8، صرح بأنه بدأ في البحث في الدراسات الرقمية منذ السبعينيات من القرن العشرين، ولم يكن سنه يتجاوز العشرينات، ولهذا عندما قدم عملاً إلكترونيًّا متطورًا في المؤتمر، فإنّ ذلك العمل عكس مسار بحث علمي طويل، انخرط فيه البحث العلمي الفرنسي في قضايا التكنولوجيا. فأعمالنا تُعبر عن درجة انتمائنا إلى ثقافة البحث العلمي.

بناء على ذلك، نطرح أسئلة نقترح تطوير النقاش حولها: أين يكمن خلل البحث العلمي في التجارب العربية؟ لماذا يتعثر انخراط البحث العلمي في القضايا الجديدة؟ كيف يمكن التفكير في جيلٍ يفكر ويُدرك بمنطق الزمن الذي يعيش فيه، وتكوينه يتمّ خارج منطق ومستلزمات هذا الزمن؟ كيف يمكن تحقيق المعنى في مواضيع عديدة، إذا لم نطرح

التكنولوجيا باعتبارها منصة لإنتاج وعي جديد بالإنسان وحياته وعلاقته بالزمن والمكان؟ ما معنى الانتماء إلى البحث العلمي إذا لم تنتقل الجامعة إلى ملتقى التخصصات؟

تلك تساؤلات تسعى للتفكير في علاقة الإنسان بالتكنولوجيا من خلال بوابة البحث العلمي.

4. الافتراضي وأسئلة العلاقة مع الواقع

تأخذ المفاهيم دلالتها من قوة تداولها. قد يظهر المفهوم بدلالة معينة، تُحدد استعماله زمن ظهوره، غير أن طريقة تداوله، وشكل رواجه، في علاقة مع سياقات الاستعمال، وطبيعة المُستعملين، تجعله يتجاوز الدلالة الأولى، ويتبنى دلالة جديدة، وفق عملية جذب الاستعمال، دون التخلي عن الدلالة الأولى. عندها، يُصبح المفهوم ذاكرة لتاريخ استعماله، يعني ذاكرة للدلالات التي يأخذها، وهو يتشكل في الممارسة والاستعمال.

ارتبط مفهوم الافتراضي بظهور الثقافة التكنولوجية، وتطور مواقع التواصل الاجتماعي، باعتبارها فضاءات غير واقعية، تسمح للمستعمل بأنْ يكون ذاتا افتراضية، ويُمارس أفعالا افتراضية، ويحلم بآفاق احتمالية. أنتجت تجربة الحياة في الفضاء الافتراضي سلوكات وممارسات وخطابات، حرَرت المُقيمين بهذا الفضاء من منطق التفكير في الفضاء الواقعي. يعود الأمر، إلى كون العالم الافتراضي لا يخضع لمنطق تدبير العالم الواقعي، مع بعض الاستثناءات التي تخص منظومة القيم والقانون. مع ذلك، بدأ العالم الافتراضي يفرض قوانين جديدة، وتشريعات مختلفة، تُحدد نوعية المعاملات الجديدة. يفرض علينا هذا العالم الافتراضي طرح سؤال/أسئلة حول مفهوم الافتراضي، وإذا كان الوعي بمفهوم جديد يتم-في غالب الأحيان-وفق مفهوم قائم، ومُتداول، يحق لنا طرح الأسئلة التالية: كيف نفهم الافتراضي؟ أو كيف يحضر في وعينا، عندما نستخدم التكنولوجيا، ونتحرك في فضاء الإنترنت؟ ما هي الحدود الفاصلة-في وعينا-بين الافتراضي والواقعي؟ هل نستحضر مفهوم الخيالي لفهم الافتراضي؟ وهل يتماشى فعل التخييل، أي تحويل المادة إلى موضوع مُتخيل في الإبداع، مع فعل الكتابة في فضاء الإنترنت؟ وهل منطق عالم الافتراض هو منطق عالم

الخيال؟ أم أنّ الافتراضي زمنٌ مختلفٌ في نظامه ومنطقه؟ تلك مجموعة من الأسئلة التي تتطلب التفكير فيها، من أجل إنتاج وعي بمعنى الإقامة في الافتراضي، والتحرك فيه، والتعبير من خلاله، وقدرة هذا الفضاء على تغيير الفرد، وجعله يفكر بطريقة مُختلفة، ويحلم بأسلوب جديد.

تُشكل هذه الأسئلة حول مفهوم ومنطق "الافتراضي" ورشا مهمة للبحث والتفكير والتحليل، وإشكالية للبحث العلمي، يمكن لطلبة الدكتوراه والماستر/ الماجستير مثلاً الاشتغال بها، والمُساهمة في تطوير الوعي العلمي والمعرفي بهذا الفضاء الجديد، الذي أصبح إقامة يومية للأفراد والمجتمعات.

ما يدفعنا إلى طرح "الافتراضي" سؤالا وتفكيرا، هو نسبة التواجد اليومي بهذا الفضاء أولاً، ثم طبيعة التحولات التي يمكن أن تطرأ على الحياة الواقعية للأفراد ثانيًا. فقد أثبتت التقارير الرقمية العالمية الجديدة لعام 2020، أنّ الوسائط الرقمية والمتنقلة والاجتماعية أصبحت جزءًا لا غنى عنه في الحياة اليومية للناس حول العالم؛ إذ "يستخدم أكثر من 4.5 مليار شخص الإنترنت في بداية عام 2020، بينما تجاوز مستخدمو وسائل التواصل الاجتماعي عتبة 3.8 مليار. ما يقرب من 60 ٪ من سكان العالم يستخدمون الإنترنت بالفعل، وتشير أحدث الاتجاهات إلى أنَّ أكثر من نصف سكان العالم سيستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي بحلول منتصف هذا العام"[1]. تنتقل البشرية إذن، من العيش في الفضاء المادي الواقعي إلى الفضاء الافتراضي، بحكم نسبة استخدام وسائط التكنولوجيا.

وعليه، يمكن في البداية البحث في الدلالة التي رافقت مفهوم "الافتراضي" عند ظهوره، ثم الدلالة الجديدة التي قد يأخذها المفهوم، وهو يعرف استخدامًا كبيرًا.

استُعمل "الافتراضي" منذ بداية الثمانينيات من القرن العشرين، باعتباره صفة لكل العمليات التي تحدث في الإنترنت، ولها علاقة بما يسمى بالعالم الإلكتروني والرقمي، وتكون مُفارقة للعالم الواقعي. لذلك، تحدّد مفهوم الافتراضي في معنى الاحتمال، والممكن، والشيء

1https://datareportal.com/reports/digital-2020-global-digital-overview

الموجود بالقوة، أو بتعبير أكثر دقّة "الواقع قبل أن يتحول إلى فعل"[1]. ويتشكل الافتراضي من هندسة المعلومة والتواصل والتقاسم والتفاعل. ويضع المُستخدم في وضعية نفسية وثقافية، من خلال مواجهة المستخدم لمساحة افتراضية، تسمح له بممارسة فعلِ التعبير كتابة أو صوتًا أو صورة أو حركة. إنّه اكتشافٌ مختلفٌ للذات وهي تتقدم نحو مكان تختلف هندسته عن هندسة الواقع.

ولأنّ الافتراضي يتمّ من خلال فضاء مفتوح، يسمح للمستخدم بالتحرك بسرعة ومرونة وحرية، للتعبير وإعلان صوته، وتقاسم وجهات نظره وأحلامه وآلامه، ويضع-في الوقت نفسه- أمام المُستقبِل خيارات كثيرة، وإمكانيات كبيرة، تسمح له باستقبال المعلومات، والتواصل معها، كما يُمكنه هذا الفضاء من أساليب وإجراءات تقنية، تجعله ينتقل من مجرد مُستقبل للمعلومة، والتواصل معها إلى مُتفاعلٍ معها، ومُنتج لها، وصانعٍ منها معرفة جديدة، تتحول عند تقاسمها إلى معلومات لدى مُستقبلين ومتفاعلين آخرين، فإن هذا الفضاء أصبح يُشكل حالة جذب مُثيرة، وبدأ يتحول بسرعة فائقة، وتبعًا لزمن الإقامة فيه إلى مجتمع، ومؤسسات، ونظام، ومنطق، ومعاملات إنسانية، وسلطة مرجعية، وموقع سياسي وإيديولوجي، وعتبة للتحدي الاجتماعي والاقتصادي، وسوق تجاري واقتصادي، وغير ذلك من أنشطة هذا الفضاء. وبالتالي، لم يعد هذا الافتراضي مجرد فضاء للمعلومة والتواصل، إنما تحول في مفهوم الفرد، و"نحن" و"الآخر، وفي المجتمع الافتراضي، والجماعات الافتراضية، إلى مختلف مظاهر وجود الإنسان، وتفكيره، ومعنى وجوده. ولهذا، اعتبر الباحث الفرنسي "فيال ستيفان" أنَّ الواقع الافتراضي الذي نعيش فيه هو جانب واحد فقط من بين جوانب أخرى من الظواهر الطبيعية التي ندركها من خلال الأجهزة الرقمية، بعدما اعتبرها المفكرون الأوائل في الفضاء الإلكتروني النظير غير الواقعي لتجربتنا.

بناء على ذلك، فقد بات الموضوع يتطلب مقاربات سوسيولوجية وثقافية ونفسية وسياسية، من أجل إنتاج وعي بالفضاء الافتراضي من جهة، وبالافتراضية باعتبارها مُنجزا من جهة أخرى. لهذا، نطرح أسئلة، نفترض أن تكون مدخلاً منهجيًّا للتفكير في معنى الوجود

1Maurice Benayoun, ARCHITECTURES RÉACTIVES DE LA COMMUNICATION https://benayoun.com/moben/fr/1998/05/12/missing-matter/

اليوم، وعلاقة منطق الافتراضي بالتحولات التي يعرفها العالم، ومدى قدرة هذه التحولات على دعم إنسانية الإنسان، عوض تدميرها، وغير ذلك من الأسئلة التي باتت تتطلب مواجهة جريئة من قبل المفكرين والمشتغلين بثقافة التكنولوجيا، وفلسفة الوجود. ونبدأ بأسئلة، سبق التفكير فيها، وطرحها، من قبل بعض الفلاسفة والباحثين، مثل "جون بودريار" Jean Baudrillard (1929-2007)، الذي اهتم في كتابه "مجتمع الاستهلاك" La Société de consommation[1]، بالاستهلاك في المجتمعات الغربية المعاصرة، ورأى أنّه أصبح وسيلة للتمييز وليس لتلبية الحاجيات؛ إذ، يعيش الإنسان بالأشياء (وفي الأشياء) التي يصنعها؛ بل تصبح الأشياء تتحكم فيه، ويحذر "بول فِريليُو "Paul Virilio (1932-2018) المهتم بسرعة العالم، من مخاطر هذه السرعة التكنولوجية، التي جعلت العالم يتقلص إلى حدّ صار معه مثل لا شيء. إضافة إلى أسئلة أخرى نقترح طرحها، من أجل تأمل منطق التحول الذي تعرفه البشرية، وهي تزكب زمن السرعة مع العهد التكنولوجي:

كيف يتشكل منطق الاحتمال مع الزمن الافتراضي؟ وبأي أساليب يُصرف هذا المنطق؟ وبأي شكل لغوي يبنى؟ وهل تلتقي المجتمعات في البناء نفسه؟ وهل يتشابه الأفراد في محتوى المنطق الافتراضي نفسه؟ وهل يُساهم كلّ أفراد المجتمعات في تشكيل العالم الافتراضي؟ ما موقع الذاكرة مع السرعة والمنطق الافتراضي؟ كيف يمكن فهم السرعة؟ كيف يتحول الإنسان مع تسارع المعلومات؟ كيف يمكن تفسير الحركة من الواقعي إلى الافتراضي؟ وكيف تكون العودة من الافتراضي إلى الواقعي؟ ما مظاهر التحول في نفسية الإنسان، ومشاعره؟ ما علاقته بالزمن والمكان؟ هل بدأ الواقع كمفهوم يتحول في الوعي الإدراكي للأفراد المُستعملين لفضاء الافتراضي؟ هل يمكن الحديث عن هوية وجودية جديدة للإنسان مع منطق الافتراضي؟ وهل استقل الإنسان عن الواقع المادي؟

تلك عينة من الأسئلة التي نطرحها، نبدأ في عملية ترتيب علاقتنا بالتكنولوجيا، والفضاء الافتراضي. وهي أسئلة قابلة للتطوير الثقافي والعلمي، من خلال أبحاث أكاديمية، ودراسات

1،Jean Baudrillard,La Société de consommation.

معرفية وفلسفية، لعلها تُساهم في الوعي بالتحول الذي بات يشكل تيارا تاريخيا اليوم، وعلى الفكر والفلسفة والعلم والمعرفة أن يشتغلوا بنظامه ومنطقه ومظاهره.

تقترح الناقدة الرقمية الأمريكية "كاثرين ن، هايلز" مقاربة لبعض هذه الأسئلة، خاصة تلك المتعلقة باستقلالية الإنسان عن الواقع المادي عند انتقاله للافتراضي واستعماله التقنيات التكنولوجية، وذلك من مدخل مفهوم الإدراك. تقول: "إن الأجهزة الرقمية مجرد فرص سانحة، وسبل أسرع وأمرن لتجاوز المصادر الخارجية للذاكرة البشرية، التي ابتدأت مع اختراع الكتابة"[1]. غير أنّ الناقدة هايلز تفهم الإدراك على أساس أنه يشمل البشر وآخرين غير بشر، والأجهزة التقنية، وهو "عملية تأويل (/تأول) المعلومة داخل سياقات تربطها بالمعنى"[2]. وبتعبير أدق لمفهوم الإدراك لدى الناقدة، "يكون وجود الإدراك بما هو طيف أكثر منه ملكة منفردة"[3]. وهذا ما يجعلها تُناقش فكرة جون سيرل "الغرفة الصينية"، وتعتبرها رأيًا مهلهلا، ولعل الاختلاف قائمٌ في مفهوم الإدراك كما يتصوره سيرل الذي يُدافع عن فكرة "الواقعية المباشرة" في الإدراك؛ أي أنَّ إدراك الإنسان للموضوعات والظروف يتم بشكل مباشر[4]، وهذا ما جعله يُعارض الطروحات الفلسفية للإدراك لدى فلاسفة كبار مثل ديكارت وكانط وإدوارد مور وبرتراند راسل وغيرهم، الذين يرون أن الإدراك لدى الإنسان لا يتم بشكل مباشر، بل هو عبارة عن تمثلات للعقل وانطباعات وأفكار.

لهذا، ينخرط التفكير في الواقع الافتراضي الذي يتحقق باستعمال التقنيات الرقمية، والوسائط التكنولوجية في قضايا فلسفية كبرى منها الإدراك والتأويل والمعنى، مما يجعل من الجدال حولها أمرًا مفتوحًا على الفلسفات والتصورات المتعددة والمتنوعة. غير أنه جدالٌ يُفكك التوتر "العنيف" بين أنصار الذكاء الاصطناعي خاصة "القوي" الذين يتجاوزون فكرة التقنية-الأداة، ويعتبرونها عند برمجتها بجودة عالية، وبشكل دقيق ومُناسب، فإنها تتحول إلى آلة مُدركة مثل الإنسان، والنظرية الحاسوبية للعقل.

1كاثرين ن، هايلز: "النصوص الأدبية كتجمعات إدراكية: الأدب الإلكتروني نموذجا"، ص114.

2المرجع نفسه، ص115.

3المرجع نفسه، ص115.

4للتعرف أكثر على مفهوم الإدراك عند سيرل، يمكن الرجوع إلى كتاب "رؤية الأشياء كما هي.. نظرية الإدراك"، جون ر. سيرل، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم علي.

عربيًّا، وبتأمل مشهد استعمال الفضاء الافتراضي، من خلال مختلف الوسائط والخيارات ومواقع التواصل الاجتماعي، نسجل ملاحظة، تخص اختلافًا واضحًا في استعمال هذه الوسائط بين المجتمعات العربية. مثلاً، تستخدم المجتمعات الخليجية – بشكل كبير- وسائط التويتر وسناب شات، ويحضران باعتبارهما وسيطًا للتواصل الاجتماعي والثقافي والسياسي، في حين نلمس هيمنة استخدام وسيط الفيسبوك في منطقة المغرب العربي، وباقي الدول العربية. مع ملاحظة ثانية، في كون المحتوى الافتراضي سواء عبر الفيسبوك أو التويتر وغيرهما، يختلف من مجتمع إلى آخر. نطرح أسئلة جديدة من واقع هذا الاختلاف: هل هذا الاختلاف يُعبر عن مستوى علاقة الاصطدام بين الواقعي والافتراضي في كل مجتمع على حدة؟ وهل يُحقق الافتراضي في تجربة أفراد كلّ مجتمع تحولات في الواقع؟ هل يمكن التعامل مع الافتراضي – اليوم-باعتباره مدخلاً اجتماعيًّا للتعرف على طبيعة المجتمع؟ وحسب تحقق الافتراضي محتوى وأبنيةً، فهل نستطيع التعرف على مستوى التفكير الثقافي لدى الأفراد؟ هل بمقدور المُنجز الافتراضي أن يقدم تصورًا عن الأوضاع السياسية في المجتمعات العربية، بعيدًا عن سلطة تقارير الواقع؟ وكيف نُحلل الشخصية المُستعملة لوسائط التويتر والانستغرام وسناب شات، والأخرى التي تتواصل عبر الفيسبوك؟

لا يمكن الوعي بواقع التحول الذي تعرفه المجتمعات العربية، وهي تنخرط – بمستويات مختلفة-في الزمن التكنولوجي، إذا غابت هذه الأسئلة، أو غيرها، عندها سيكون الاستهلاك هو منطق التعامل مع الفضاء الافتراضي.

نتج عن الإقامة في الافتراضي تعبيرا يُحدّد طبيعة هذه الإقامة المجتمعية، يتعلق الأمر بتعبير "البيئة الافتراضية"، أو ما يصطلح عليه أيضا ببيئة اصطناعية افتراضية، لا توجد إلا في عالم الكومبيوتر والبرمجيات. وتتحدّد بمواقع ومستخدمين يختارون علامات رمزية، يُحدد مظهرهم الافتراضي الذي يختارون الظهور به، وذلك حسب مجالات الاهتمام إمّا تواصل اجتماعي، أو ثقافي أو تجاري، كما يدخل في هذا المفهوم التعليم عن بعد من خلال صيغة "الفصول الدراسية الافتراضية" وما شابه. تُدمج هذه البيئة المنتمين إليها في منطق شبكي، يدفع العلاقات إلى التحول السريع، بل يمكن التفكير في مفهوم أكثر دقة في مستوى هذا المنطق، وهو مفهوم الانتقال. ونقصد بذلك، أنَّ التحول السريع الذي تعرفه العلاقات

الاجتماعية مع الوجود الشبكي، ضمن الحياة في البيئة الافتراضية يسمح بالانتقالات السريعة من حالة إلى أخرى، وذلك بفعل نشاط مفهوم ارتفاع درجات تدفق المعلومة. تتأثر العلاقات الاجتماعية بمنطق هذه البيئة، ولا تخضع لتعاقدات اجتماعية، أو صلات عائلية، أو علاقات الصداقة في الواقع، إنما أصبحت مفتوحة على كل الانتماءات والهويات. إلى جانب عنصر آخر وهو مفهوم الانفتاح اللامتناهي على التجارب الإنسانية، والتي تجعل العلاقات الاجتماعية دائمة التحول والتشكل والتكون ضمن منطق الفاعل الشبكي.

إذن، مفهومان اثنان – على الأقل-يحكمان طبيعة العلاقات الاجتماعية في البيئة الافتراضية وهما: الانتقال السريع والانفتاح المستمر على لامتناهية التجارب والخبرات الإنسانية.

الخطاب الاجتماعي عبر التكنولوجي

منذ بداية انتشار ثقافة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بالمجتمعات العربية، بدأ الملفوظ الاجتماعي يتجلّى في مساحات التواصل الاجتماعي بوصفه خطابًا تجريبيًّا لخطاب "الذات"، التي تُجرب التعبير بدعمٍ كبيرٍ من فكرتي: التقاسم والتفاعل. أسهم هذا الفعل الاستخدامي لمواقع التواصل الاجتماعي خاصة "الفيسبوك" و"التويتر" في اكتشاف الفرد العربي لقدرته على بناء تعبيرٍ وموقفٍ ورأي، والانتباه إلى أنّ آخرين يلتقطون ملفوظه إمّا بالتعبير عنه بعلامة إيجابية، أو كتابة تعليقٍ يُدعم الرأي، أو بانتقاده، وهو وضعٌ أنتج حالة تداخل فيها النفسي بالثقافي، وبدأ يُبرز ملامح شخصية تتشكل من الفضاء الافتراضي.

لقد تطور الملفوظ الاجتماعي العربي، وتحول إلى خطابٍ قائم الذات، يمتلك رأيا يلتف حوله مجموعة كبيرة من المجتمع، ويُعبر عن حاجيات فئاتٍ، ويظهر باعتباره صوتا مُعبرا عن مشترك جماعي. تحقق هذا الخطاب النضالي-إذا صح التعبير-مع بداية التحول الاجتماعي السياسي العربي نهاية 2010 وبداية 2011، مع ما اصطلح عليه بـ"الربيع العربي" الذي انطلق من تونس، فمصر فانتشر في كثير من الدول العربية.

هل كان من الممكن للربيع العربي أنْ يعرف مداه، ويتم خارج استخدام مواقع التواصل الاجتماعي؟

سؤالٌ قد يُجيب عنه تحليل أهم خطاب اجتماعي عربي، تولد مع "الربيع العربي"، ورافق هذا التحول الاجتماعي في مساراته الاحتجاجية والانتفاضية و"الثورية" في أغلب الدول العربية، بل شكل مرجعية قوية واجهت بها مجتمعات "الربيع العربي" مؤسسات الدولة، والإطارات النقابية والحقوقية، وتولد عنها خطاب مجتمعي جديد، يصوغ مطالبه باستخدام السوشل ميديا بعيدًا عن المؤسسات التقليدية. نقصد بهذا الخطاب "الشعب يريد".

1. تحليل خطاب "الشعب يريد"

على الرغم من كوننا ما نزال نعيش أحداث الحالة التاريخية العربية التي بات يصطلح عليها بـ"الربيع الديمقراطي العربي"، والتي ما تزال تبحث عن صفتها التاريخية التي تجعل منها حالة حضارية تعيد للشعوب العربية الكرامة والأمان والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فإننا نرى أنّ الوقت أصبح مؤهلا-إلى حدّ ما-للتأمل في الحالة، وتحليلها من أجل المساهمة في إنتاج مجموعة من الأفكار التي قد تساعد على الإدراك والفهم المطلوبين في مثل هذا التحول التاريخي، من أجل مستقبل أكثر ضمانة لكرامة وحرية وحقوق الشعوب العربية.

بالنظر إلى المهيمن على مستوى معجم الحالة، يمكن اعتبار التعبير "الشعب يريد" مدخلاً جوهريًّا لمقاربة ماهية الحالة سواء في بعدها الثوري، أو الاحتجاجي أو النضالي-المطلبي. لهذا، نقترح الاشتغال بهذا التعبير، من أجل رصد طبيعة الرسائل التي يحملها ملفوظ هذا التعبير:

أ/ "الشعب يريد"

من أول تظاهرة خرجت بشوارع سيدي بوسعيد بتونس، هيمنت جملة "الشعب يريد.." على الهتافات واللافتات، وعمت الجملة شوارع مدن وعواصم الربيع العربي. وهي جملة تعتبر من أهم المداخل الجوهرية لقراءة خطاب الربيع العربي، بدءًا من تونس واستمرارًا بسوريا مرورًا بمصر واليمن وعمان والأردن والبحرين والمغرب. ترددت جملة وما تزال تتردد على ألسنة الشعوب العربية، التي خرجت عن صمتها مع بداية العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين. وإذا استعنا بمبادئ تحليل الخطاب، فإننا سنجد هذه الجملة تتضمن مؤشرين اثنين، يمكن اعتبارهما اختزالاً عميقًا لملفوظ الوعي الجمعي للشعوب العربية. وهو ملفوظ جديد لم نتعود على سماعه، أو حتى مجرد الإحالة عليه ضمن خطابات الأحزاب وباقي المؤسسات التمثيلية للشعب. لقد اعْتُبِر "الشعب" دوما الموضوع الذي تتكلم الأحزاب والمؤسسات والأطر والجمعيات عنه، وتنطق باسمه، وتعبر عن حاجاته واحتياجاته، عن طموحاته وآماله. شكل "الشعب" منذ بداية استقلال البلدان العربية موضوعًا يحكى عنه، ويتكلم عنه في النقاش السياسي، ويتم استحضاره في التداول السياسي، ويحضر بقوةِ

الموضوعِ في أجندة الانتخابات. "الشعب" دائما هو هذا الحاضر الغائب. الحاضر بقوة الحاجة إليه في اللعبة الانتخابية، والغائب باعتماد لغة غير لغته، ومعجم غير معجمه، ومطالب تنطلق منه، فإذا بها تنزاح عن المسار حين تأتي بلغة الوصاية الحزبية. جملة "يريد الشعب" تعبر عن تحول جوهري في موقع "الشعب" من الموضوع المتحدث عنه، إلى موقع المتكلم عن نفسه. وبهذا، فإنّ أول مظهر متغير في ثقافة الاحتجاج والثورة في منطق الربيع العربي، هو هذا التحول لموقع "الشعب" من الموضوع إلى الذات الفاعلة في مجرى الحدث التاريخي. انتقال الموقع يؤدي إلى تحوّل ثانٍ في طبيعة المنظور؛ أي تصور الشعب لوضعه وحياته. ويتمثل المنظور في المعنى الثاني للجملة "يريد".

يعد فعل "يريد" المرافق لتعبير "الشعب" ثانيَ متغير في منطق الربيع العربي؛ إذ، تعودنا استعمال فعل "نطالب" في الدفاع عن مطالب الشعب، الذي يتمّ تجزيئه إلى فئات، تختص كلّ جهة سياسية أو إيديولوجية أو حزبية أو حقوقية أو نقابية للدفاع عن مصالحها تحت اسم "المطالب" والتي اعتمدتها الأحزاب وباقي المؤسسات الحقوقية والنقابية، تلك التي تتحدث عن الشعب سواء باعتبار منظور الفئة (فئة العمال/ الإطار النقابي أو فئة المعتقلين/ الإطار الحقوقي، أو فئة السكان/ الإطار الحزبي...)، ولم يوظف فعل "يريد" في مختلف الاحتجاجات أو التظاهرات، التي كانت ترفع (تعبيريًّا/ لغويًّا) من شأن الجهة الممثلة لمطالب "الشعب" مثل إعلاء اسم الحزب، أو الحركة، أو الإطار النقابي أو الحقوقي، أو الجمعية أو المنظمة. ولذلك، يتم تبئير الإطار التمثيلي أكثر من تبئير الجهة موضوع المطالب (أي الشعب). لذلك، يبقى اسم الحزب أو المنظمة راسخًا في الذهن والذاكرة أكثر من عينة المطالب التي قد تذوب مع استراتيجية الدفاع عن الحزب. في منطق الربيع الديمقراطي العربي، حصل انتقال على مستوى طبيعة الفعل. وبما أن لكل متكلم لغته الخاصة، ومعجمه المميز لحاجياته، فإنَّ الشعب استعمل فعل "يريد" ليرفع سقف مطالبه ليس على مستوى تحقيقها، وإنما على مستوى الأجرأة الزمنية. فإذا كانت المطالب تُرفع إلى جهة عليا في السلطة، ويتوافق حول حدود قبولها تبعًا لوضعية الحكومة من جهة ومصالح المؤسسة التمثيلية بدعم من مبدأ المصالح المشتركة، والتي قد تجعل المؤسسة الممثلة لمطالب الشعب، تتنازل عن بعض المطالب، أو ترجئ البعض الآخر إلى مراحل أخرى بسبب مصالح انتخابية أو سياسية، فإنّ

تعبير "يريد الشعب" قد أسقط كل هذه التوافقات، بل الأكثر من هذا، جاء خطاب الشعب بلغة مُلْزِمة للجهات المسؤولة، وبصيغة فعلية آنية ترفض الإبطاء أو التأخر في تحقيق ما يريده الشعب من مطالب، وهو تعبير يتضمن طبيعة المطالب، التي وإن بدأت حاملة في البداية لقضايا حقوقية وسياسية مثل الكرامة والحرية وإسقاط النظام والفساد، فإنّها في جوهرها عبارة عن مطالب معيشية آنية، يريدها الشعب بسرعة ودون تأخير، وهذا ما انعكس على مفهوم "الثورة" في نموذجي تونس ومصر، حيث إنّ الشعب يريد أنْ يرى الثورة وقد تجسدت في الشغل والسكن والغذاء والتعليم، وأصبحت واقعًا ملموسًا يُرى بالعين، وما نراه قد انعكس على مفهوم الاحتجاج كما في النموذج المغربي، الذي تحول الاحتجاج فيه بعد الاستفتاء على الدستور الجديد، من المطالبة بالكرامة وإسقاط الفساد وتأمين العدالة الاجتماعية إلى احتجاجات المواطنين على ارتفاع فواتير الماء والكهرباء، وإيصال الماء إلى الأحياء المهمّشة في المدن الكبيرة والصغيرة، وغير ذلك من المطالب الاجتماعية التي تتعدّد بتعدّد غيابها في حياة المواطنين؛ ذلك، لأنّ الحالة التاريخية العربية، وإنْ جاءت ضدّ الأنظمة الحاكمة وفسادها، فإنّها حالة تلزم مدبري الشأن العام في الوضع الجديد بضرورة تحقيق الحاجيات المعيشية، بطريقة مستعجلة، بعيدًا عن تعقيد القوانين وخطط التنمية وبرامج الاستعجال الاجتماعي وإصلاح القضاء وتقنين ثقافة حقوق الإنسان. يأتي منطق الربيع العربي بمواصفات المواطن العربي الذي تعب من الانتظار، والبقاء منذ الاستقلال في فضاء العتبة. لم يعد يتحمل التأخير. إنّه مواطن يريد أنْ يأكل بكرامة، ويشرب ماء نقيًّا غير ملوث، وحين يشعر بألم يجد أبواب المستشفيات مفتوحة أمام آلامه بدون وجع الضيم، وقيد الظلم، ومنطق المحسوبية، ويريد لابنه عملاً في بلده بعيدًا عن الموت في أعماق البحر، والتيه في بلد الغربة. مواطن أدرك اللعبة جيدا منذ استقلال بلده، لهذا انتفض وخرج يطلب احتياجاته بدون وسيط حزبي أو حقوقي أو نقابي. وبهذا، يعلن ملفوظ الشعب عن إسقاطه للمؤسسات التمثيلية من وعيه الجمعي:

ب/ نحو إسقاط خطاب المؤسسات التمثيلية:

في مقالته التحليلية حول الربيع العربي "الشعب، الملك، المجتمع"، اعتبر الناقد سعيد يقطين، وهو يتحدث عن التجربة المغربية أن الشعب قال كلمة التحدي، ثم جاء خطاب الاستجابة من الملك. و"جاءت الكلمتان معًا في وقت بات فيه من الضروري النطق بالكلام الصحيح والقويم، وليس بالكلام المريض والمعوج"[1]. وبذلك، يؤسس "الشعب" لعلاقة مباشرة مع الملك، بعيدًا عن وساطة القنوات التمثيلية. وهو ما نسميه هنا بإسقاط الشعب لمختلف الوسائط التمثيلية لصوته في الانتخابات التشريعية والبرلمانية وفي الدفاع الحقوقي والمطالب النقابية. إنّ انتقال الشعب من الموضوع إلى الذات المسؤولة عن صوتها، واختياره للغة تختزل منظوره التاريخي لحياته، يُسْقِط مختلف المؤسسات من وعيه، ويغيبها حين يتجاوز لغتها وخطابها، بل الأكثر من هذا، يحولها إلى إشكالية تحتاج إلى النقد الذاتي قبل النقد الموضوعي. ويظهر معنى التغييب، في حالة اللاوعي بمنطق ما يحدث من طرف هذه المؤسسات، وفي الاصطدام فيما بينها، ثم في عدم صياغة خطاب يكون في مستوى الحالة التاريخية الجديدة التي يقودها منطق ملفوظ الشعب. ولهذا، فإنَّ طبيعة النقاشات الدائرة في الإعلام بين المؤسسات التمثيلية في معنى تحقيق ملفوظ الشعب "يريد الشعب"، تعبر عن فجائية خطاب الشعب الذي بانتقاله من موقعه التاريخي إلى موقع جديد قد أربك كلّ الحسابات التقليدية.

إنَّ مفهوم الإسقاط، لا يعني هنا، تجاوز المؤسسات التمثيلية باعتبارها إطارات مادية، ينعدم وجودها مع الحالة التاريخية الجديدة للشعوب العربية، إنّما يأخذ الإسقاط هنا معنًى ضمنيًّا؛ أي إسقاطها باعتبارها خطابات وتدابير وبرامج وتصورات ورؤى واستراتيجيات وتحالفات لم تتمكن من تحقيق مبدأ الكرامة.

1يقطين، سعيد: الشعب، الملك، المجتمع...أي حوار لأي مستقبل، منبر الصباح الشعب، الملك، المجتمع... أي حوار لأي مستقبل، منبر الصباح.

ج/ الوسائط التكنولوجية بديلاً للوساطة التقليدية:

احتلّت الوسائط التكنولوجية من شبكة النت ومختلف أشكال المواقع الاجتماعية من فيسبوك وتوتير وغيرها، الصدارة في إعلان إرادة الشعب. فقد بدأت الإرادة افتراضيًّا، عبر الدعوة إلى التجمع والتظاهر أولاً، ثم انتقلت إلى واجهة تنسيقية بين مختلف الشرائح الاجتماعية، ليتطور التفاعل مع الوسائط إلى نقل المعلومة وهي ساخنة من منطقة الحدث، مدعمة بالصورة والصوت وحالة المزاج، مواكبة لمختلف محطات الثورة والاحتجاجات، ومع هذا التوظيف، تصبح المعلومة سلطة في يد ملفوظ الشعب، يعبر ويفضح ويعري ويكشف ويحتج عن طريقها، ويوصل خطابه – بشكل مباشر-ليس فقط إلى المسؤولين المباشرين عن تدبير شأنهم العام، وإنما أيضًا إلى العالم بأسره، ليضع المسؤولين في منطقة الفضح والعري، ومن ثم في منطقة الخطر، إذا لم تستجب إرادته.

نسجل في هذا المستوى من منطق الربيع الديمقراطي العربي، متغيرًا ثالثًا، تتراجع بموجبه الوسائط التقليدية من أحزاب ومؤسسات ومنظمات وجمعيات كانت تعدّ القنوات الأساسية لتمثيل الشعب في مؤسسات الدولة، والتي باتت الآن قنوات تقليدية إلى وسائط حديثة تفتح آفاقًا مفتوحة على كلّ الافتراضات والاحتمالات أمام المواطنين، لكي يعبروا ويعلقوا ويصرخوا ويفضحوا بلغاتهم وأصواتهم، بمفرداتهم ومعجمهم، بالصورة والصوت، وباللون والمزاج.

د/ أسئلة من وحي الملفوظ الجمعي الشعبي:

أمام هذه المتغيرات التي يحدثها ملفوظ "الشعب يريد"، وهو يتحقّق بمستويات مختلفة، تتطلب تأملات عبر عقد المسافة من الحدث، يمكن تلمس الرسائل الأولى التي يمرّرها هذا الملفوظ إلى المشتغلين في الحياة السياسية والنقابية والحقوقية والثقافية، ومن بينها الأسئلة التالية:

رسالة إلى الأحزاب: يُسْقِطُ ملفوظ "يريد الشعب" الخطاب الحزبي من الحالة التاريخية للوعي الجمعي، ويتجاوز الأحزاب باعتبارها وسائط لإيصال صوته، معبرًا بذلك عن فشل

برامجها وخططها وفشل وساطتها التي لم تتمكن من ضمان الحياة الكريمة للمواطن العربي منذ بداية مرحلة الاستقلال.

فهل الأحزاب على وعي بهذه الرسالة؟ وهل تمتلك من الوعي التاريخي ما يكفي لإعادة صياغة منظومتها الفكرية، وتغيير أدواتها وأساليبها؟ كيف للأحزاب أنْ تنخرط في اللحظة التاريخية الراهنة، وهي مغيبة في الوعي الجمعي الشعبي؟ هل تملك القدرة والجرأة التاريخية على النقد الذاتي؟ ألا يشكل وضع الأحزاب أزمة حقيقية أمام الانتصار الحقيقي للحالة التاريخية العربية؟ وهل الأحزاب السياسية – على حدّ تعبير المفكر الفرنسي" بول فيريليو" (Paul Virilio) لم تعد "هي الفاعل المهيمن في الساحة السياسية، بل تركت زمام المبادرة بيد الجيش والنقابات، بما فيها النقابات العسكرية"[1]؟

رسالة إلى المؤسسات النقابية: لاحظنا من خلال التظاهرات والاحتجاجات خروج مختلف فئات الشعب إلى الشارع العام، ليس فقط للتنديد بالأوضاع المعيشية المزرية، وإنَّما للتعجيل بتحقيق المطالب، وإذا أخذنا نموذج المغرب، فقد تميز الاحتجاج بظاهرة الاعتصام الذي أصبح سلوكًا احتجاجيًّا، يسلكه العمال والعاملات في المصانع والمعامل والشركات، والطلبة. ويُعبر الاعتصام عن شكلٍ احتجاجي يتجاوز خطاب المطالب إلى التسريع بتنفيذها.

فهل تدرك النقابات جيدًا هذه الرسالة، وهل تملك القدرة على الانتصار إلى العمال والصناع والحرفيين؟ وهل تملك مشروعًا موازيًا لما حدث ويحدث؟ ثم هل تعي تجاوزها في ملفوظ الشعب الذي أصبحت له وسائطه الخاصة للفضح والعري؟ أي خطاب نقابي حقوقي يتماشى والخطاب الاحتجاجي الجديد مع وسائل التواصل الاجتماعي؟

وهل تستوعب المؤسسات الثقافية تحولات الفرد وثقافته، وكيف منحته وسائل التواصل الاجتماعي سلطة التفكير والتعبير وتقاسم الرأي والموقف؟ هل استوعبت المؤسسات الثقافية ما تبنيه الوسائط التكنولوجية الحديثة من ثقافة جديدة، أصبح

1فيريليو، بول: السرعة والسلطة من ثورة الشارع إلى الحق في الدولة، تر: محمد الرحموني، مراجعة: منى زاهد السويلمي، ص10.

المواطن فيها فردًا قائمًا بذاته وبصوته؟ وهل هناك استراتيجية جديدة للتعامل مع المرحلة الجديدة؟ ومع الثقافة الجديدة التي تغير المفاهيم والقيم وأساليب النقاش؟

تلك بعض الرسائل/الأسئلة التي يمكن قراءتها من ملفوظ الوعي الجمعي العربي "الشعب يريد".

2. المقاطعة الاجتماعية والحراك التكنولوجي

منذ اندلاع خطاب "الشعب يريد" مع "الربيع العربي" حدث تحولٌ كبير في موقع الشعوب العربية. لم يكن ملفوظ "الشعب يريد" تعبيرًا عاديًّا، أو مجرد تفجيرٍ لصوتٍ مقهور، أو عبارة عن صرخة عابرة، بقدر ما كان إعلانًا تاريخيًّا صريحًا عن بداية تحركٍ في موقع الشعوب. بعيدًا عن توصيف هذه الحركة الاحتجاجية، واختيار صفة تاريخية لها، ضمن مفاهيم محدّدة عرفتها حركات انتقالية في تاريخ الإنسانية مثل: الثورة، الانتفاضة، الاحتجاج، فإنَّ الأهم من هذه التوصيفات، هو مدى اهتمام مؤسسات تدبير الشأن العام بخطاب المجتمع الجديد، ومدى تفاعل هذه المؤسسات مع محتوى الخطاب.

إنَّ استمرار حركات الاحتجاج بعد مرحلة "الربيع العربي"، وتفاقم الأزمة الاقتصادية والاجتماعية في بلدان عربية كثيرة خاصة تلك التي عرفت تحركات "الربيع العربي"، أو تأثرت بها، قد عبر عن طبيعة التعامل السياسي الرسمي العربي مع خطاب إرادة الشعب، في الوقت نفسه، كشف عن تجاوز خطاب "الشعب يريد" لنمط التفكير السياسي في التجربة العربية. فسوء التدبير السياسي لخطاب الشعب، أو بتعبير أدقّ، سوء فهم انتقال موقع الشعب من المُطالِب بحقوقه إلى المُبادِر بتحقيق الحقوق، عبر صيغ متعددة، اتخذت في البداية شكل الفضح والتعرية لمختلف أشكال الفساد التي تُعيق تحقيق الحقوق، وذلك عبر المنصات التكنولوجية، إلى اقتراح تدابير لتجاوز أشكال الفساد، ثم إلى اتخاذ قرار تحقيق الاقتراح قد أدى إلى اتساع الهوة بين الشعب وحاجياته والفاعل السياسي الذي استسهل الخطاب، ولم يتعامل معه بذكاء سياسي انسجامًا مع اللحظة التاريخية الجديدة. وإذا كنا نلاحظ تراجع ملفوظ "الشعب يريد" في التعبير الاجتماعي والإعلامي والسياسي، كما تراجع مصطلح "الربيع

العربي" في الإعلام والسياسة والثقافة، فذلك يعود إلى أسباب عديدة، قد يكون من بينها ارتباط الملفوظ بـ"الربيع العربي" الذي تعيش كثير من البلدان العربية انعكاساته على الوطن والمواطنين، وعلى التاريخ والجغرافية، وعلى الذاكرة والمستقبل، مما جعل الملفوظ مرتبطًا بانعكاسات "الربيع العربي"، كما يمكن أن يعبر غياب هذا الملفوظ في الخطاب المتداول عن تجاوزه باعتباره شعار مرحلة، وتحوله إلى فعلٍ يتحقّق بمستويات مختلفة. وعليه، يمكن الحديث عن انتقال "الشعب يريد" من الملفوظ والشعار إلى الموقف والقرار.

يدخل في إطار تفعيل الخطاب الاجتماعي لـ"الشعب يريد" قرار مُقاطعة ثلاث شركات في قطاعي التغذية والمحروقات والماء في المغرب عام 2018.

تعتبر المقاطعة الشعبية المغربية حالة تاريخية اجتماعية، حقّقت نجاحًا كبيرًا حولها إلى موضوعٍ إعلامي عالمي من جهة أولى، وجعلها نموذجًا لتجربة تُعيد القرار إلى الشعب من جهة ثانية، ووضعت الفاعلين السياسيين والاقتصاديين أمام تحدي مواجهة قرارٍ يُفعل بالمنصات التكنولوجية والمواقع الاجتماعية، وبإرادة شعبية تتم خارج وصايا الإيديولوجية من جهة ثالثة.

كيف يمكن قراءة خطاب المقاطعة الشعبية المغربية؟ وهل يمكن الحديث عن بداية نمو ما يمكن تسميته بـ"طبقة برونيتارية" تتحرك في الفضاء الافتراضي؟ هل يمكن تحليل استراتيجيات خطاب المقاطعة، وعلاقته بالوسيط التكنولوجي؟ وما هي وسائل التأثير الافتراضية، التي تجعل مقاطعة مواد غذائية ومحروقات تحقّق تفاعلاً كبيرًا؟ وكيف يمتلك الحراك التكنولوجي قدرة تطويع الواقع؟ هل نستطيع أنْ نتحدث عن نمو وعي اجتماعي جديد، يتشكل ويتطور ويتحقق بفضل الخدمات التكنولوجية؟ هل بدأنا نشهد ظهور شكل نضالي جديد ومختلف؟ وهل تتوقف مكتسبات المقاطعة في خضوع الشركات موضوع المقاطعة،وتخفيض أسعار المنتوجات؟ أم أنَّ المقاطعة بداية لمشروع شعبي وجد في الخدمات التكنولوجية وسيطًا لإعلان قراراته الحاسمة؟ هل تُدرك الأحزاب السياسية والإطارات التمثيلية لمطالب الشعب ورطتها التاريخية؟ وكيف يمكن فهم تخلف الخطاب الإيديولوجي

عن الخطاب الشعبي التكنولوجي؟ كيف يمكن تحليل سلطة الوسائط التكنولوجية؟ إلى أيّ حدّ تستطيع هذه السلطة أن تُحصن القرارات الاجتماعية حتى لا تنزاح عن شرعيتها؟

إذا كانت المقاطعة تحمل رسائل اقتصادية وسياسية برؤية اجتماعية، فإنّها -إلى جانب ذلك-تثير موضوعًا بالغ الأهمية، وهو المتعلق بتحويل الفضاء التكنولوجي إلى ساحة نضالية، قادرة على بث الوعي الاجتماعي، وتوسيع قاعدة المنخرطين في هذا النضال، وضمان سرعة التأثير والتفاعل والانخراط المسؤول في المطالب والقرارات. وهو أمرٌ يتطلب إعادة النظر في التعامل مع خطاب المطالب الذي ينتقل إلى شكلٍ مُغاير، ومن ثمة، إلى وسيط يجعله أكثر تأثيرًا وانفتاحًا على كل الاحتمالات الممكنة.

إنَّ استمرار المقاطعة الشعبية لمنتوجات الماء والحليب والغاز مدة أسابيع، وتأثيرها اقتصاديًّا على الشركات موضوع المقاطعة، مع ارتباك الحكومة في التعامل مع هذا القرار الشعبي الذي نزل كالصاعقة على مدبري الشأن السياسي، وتذبذب المواقف الإيديولوجية، يطرح أسئلة كثيرة حول موقع التكنولوجيا في التدبير السياسي، وهل هناك مواكبة حقيقية للتحولات التي يعرفها المجتمع في علاقة مع استخدامه للمنصات والتطبيقات التكنولوجية؟ وهل بدأنا نفكر في إمكانية تشكل فئة أو طبقة تفكر وتناضل من خلال الوسيط التكنولوجي؟ وهل يمكن الحديث عن مفهوم جديد للمواطن؟

يمكن تأمل هذه الأسئلة من واقع المقاطعة، وفعاليتها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا. كما يمكن تحديد ذلك في العناصر التالية. أولاً: قدرة التكنولوجيا على التأثير السريع. فقد تميزت المقاطعة بعنصرٍ يبدو مهمًّا ومثيرًا للانتباه، وهو كونها تشكلت بصورة تجعل منها صوتًا جماعيًّا. فالمقاطعة تحركت داخل المنصات والتطبيقات التكنولوجية، وانتشرت بسرعة مثل النار في الهشيم. وأبدعت أشكالاً حفزت الوعي بها، وبضرورة تفعيلها على أرض الواقع، بإبداع محتوى رقميٍّ يختزل الموقف من مواد المقاطعة، عبر تطبيق الهاشتاق: "خليه يروب"؛ أي "دعه يفسد" والمقصود حليب الشركة موضوع المقاطعة.

ثانيًا: إنَّ المقاطعة تحصيلٌ حاصل. فقد يعتبر البعض أنّ فعل المقاطعة قرار فُجائي، وقد يستغرب البعض الآخر قدرتها على تطويع الوعي الاجتماعي، وجعله وعيًا فاعلاً على أرض

الواقع، خاصة وأنها تزامنت مع شهر رمضان حيث الاستهلاك الكبير لمنتوجات المقاطعة، لكن من يتتبع علاقة المغاربة بالمنصات التكنولوجية، وكيف تمّ استثمارها منذ اندلاع ملفوظ "الشعب يريد"، وكيف تمّ توجيه التكنولوجيا نحو خدمة الوعي الجماعي في القضايا الاجتماعية على الخصوص، سيعتبر بأنّ المقاطعة هي تطور مستمر لشكل التعامل مع التكنولوجيا. دون أن يعني ذلك، تعاملٌ وظيفي وموضوعي وإيجابي في كل المناحي.

ثالثًا: شكلت المقاطعة الشعبية أكبر تحدٍّ لمدبري الشأن السياسي. ويتمثل التحدي في كون الحكومة لم تتعامل مع المقاطعة في البداية باعتبارها موقفًا مجتمعيًّا مسؤولاً، ربما لكونها ما تزال تعتقد بأنّ التحرك من خلال المواقع الاجتماعية ليس رسميا، أو لكونها اعتبرت الأمر عابرًا، أو استحالة تحقيقه واستمراره خاصة مع استقبال المغاربة لشهر رمضان، لأنَّ الأمر يتعلق بالحليب والماء والمحروقات. فاستمرار المقاطعة، يجعل التحدي أكبر وأصعب، ويدفع نحو تغيير الممارسة السياسية والحزبية.

تشكل المقاطعة في التجربة المغربية أرضية خصبة لتحليل التحولات الاجتماعية التي تحدث في علاقة باستعمال الوسائط التكنولوجية، وتعمل على تغيير المفاهيم والعلاقات، وتقترح وعيًا جديدًا يتشكل وهو يتفاعل. ولعل قوة التأثير التفاعلي تأتي من كون أفراد المجتمع الرقمي يمتلكون سلطة أدوات التكنولوجيا، ويستطيعون استثمارها، والتصرف فيها، والتعبير والإبداع من خلالها، وهو ما عبر عنه الكاتب الفرنسي المهتم بدراسة المستقبل مع التكنولوجيا "جويل دو غوسناي" (*Joël de Rosnay*) من خلال تحديد الفرق بين مفهومي البروليتاريا والبرونيتاريا، معتبرًا أنّ "مواطني العالم هم بصدد ابتكار ديمقراطية جديدة"[1].

والبرونيتاريا كما يحددها "دو غوسناي" هي "طبقة جديدة من مستعملي الشبكات الرقمية، قادرة على إنتاج ونشر وبيع محتويات رقمية غير مملوكة"[2].

وهي تختلف عن طبقة البروليتارية التي لم تكن تتحكم في أدوات الإنتاج الضخمة المخصصة للمحترفين، عكس ما يحدث في المجتمع الرقمي الذي يسمح لأفراد مجتمعاته

1Joël de Rosnay: La révolte du Pronétariat, p9

2المرجع نفسه، ص10.

بالتصرف في الأدوات التكنولوجية، واستثمارها لصالح قضاياهم وحاجياتهم، وباستطاعتهم أن يكونوا كتابًا، ويمكنهم إنشاء النصوص والموسيقى ومقاطع الفيديو الرقمية بأدوات قوية مثل تلك التي يتمتع بها المحترفون.

إن التأخر في فهم منطق اشتغال التكنولوجيا، وقيمة الخدمات التي تقدمها لكل مستعملها، كيفما كان مستواهم الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والثقافي، إلى جانب غياب الاهتمام بالمستقبل، وتحدياته قد يعمل على تعميق الهوة بين حاجيات المواطنين ومدبري الشأن السياسي.

3.الوسائط التكنولوجية والديمقراطية الجديدة

لا يختلف اثنان أن أطفال هذا الزمن، وشبابه يمتلكون قدرة فائقة على الانخراط في الوسائط التكنولوجية أكثر من الآباء. بل، يضطر الكثير من الآباء إلى طلب المساعدة والمعرفة من أولادهم، عندما يتعذر عليهم الفهم. قد تبدو المسألة للبعض عادية، باعتبار علاقة الأُلفة بين الأطفال/الشباب والتكنولوجية الحديثة، لكن الموضوع يتجاوز تلك الألفة، ليعبر عن تحول يحدث في ثقافة الأطفال والشباب، وتأثير ذلك التحول على موقعهما في منظومة المعرفة.

تعودنا في المنظومة التقليدية الأب سلطة مرجعية في التربية والتلقين والمعرفة والفهم، كما شكل المعلم والأستاذ والفقيه سلطة مرجعية لتلقين الفهم والمعرفة، وبموجب هذه السلطة تأسست ثقافة الأخذ بالجاهز، يكون فيها الطفل/الشاب في موقع المُنتظِر للمعرفة نظاماً ومضموناً. كما شكلت المرأة، في إطار هذه السلطة المرجعية، موضوعًا منظورًا إليه، مفعولاً به من قبل الثقافة المرجعية التي حددت المرأة ضمن مجموعة من المفاهيم والتصورات، وألزمت المجتمع على الأخذ بها، ضمن منطق التعاقدات والأعراف الاجتماعية، ثم تأثير هذا المنطق الاجتماعي على قوانين تدبير المجتمع. غير أن خروج المرأة إلى العمل مع المجتمع الصناعي، بتزامن مع ثقافة حقوق الإنسان والمرأة، مع ارتفاع نسبة تعليم الفتيات،

أدى –تدريجيا- بالمرأة إلى الانتقال من موقع الموضوع إلى موقع الذات الفاعلة والعاملة[1]. فقد غير هذا الخروج الاقتصادي للمرأة منطق نظام المعرفة الذي بدأ يعرف – شيئا فشيئا- تحولاً في منطقه، ومحتواه ورؤيته، مع دخول صوت المرأة. منذ النصف الثاني من القرن العشرين، بدأت عملية خلخلة نظام المواقع، تعزز ذلك مع الزمن التكنولوجي وإمكانياته الهائلة في تحرير الأفراد من مواقعهم التقليدية، ومن أنظمة مرجعيات المعرفة المألوفة.

يفتح الطفل اليوم عينيه على نظامٍ مُختلفٍ للمعرفة، عما فتحنا نحن أعيننا عليه. لا يتعلق الأمر بطبيعة التربية التي قد يتلقاها من داخل البيت، وإنما من المناخ العام للمجتمع والعالم. ينخرط الطفل، منذ خطواته الأولى في اللعب الإلكتروني. تبدأ علاقته باكتشاف العالم ذاته، ومعجمه ولغته مع اللعب الأولى التي يستخدمها للعب. لم تعد اللعب مجرد وسائط ترفيهية، إنما أصبحت وسائط معرفية. عبرها يُقيم تواصلاً مع جسده ولغته والمواد المحيطة به. باللعب الإلكتروني، يتلقى الطفل ثقافةً ولغةً ومعجماً ونظاماً. ولأن ذاكرته في طور التشكل والتكون والامتلاء، فإنَّ النظام المعرفي الجديد الذي يتلقاه عبر اللعب الإلكتروني، يُمكنه من منطق التعامل، ومستقبلاً من منطق التفكير. فهل هيأنا للطفل تعليما بموجبه يستطيع أن ينخرط في الحياة، وفق شروط طفولته؟

عندما نتحدث عن الطفل وعلاقة نموه بثقافة التكنولوجيا، فلكي نُشير إلى المناخ الجديد الذي بات يحكم العالم، وعبره تحرر الأفراد من موقع الموضوعات إلى موقع الذوات الفاعلة وفق منطق الزمن التكنولوجي. غير أنّ هذا الانتقال في الموقع قد لا يكون منتجًا، ولا يسمح بظهور الفرد-الصوت، أو الفرد-الموقف الإيديولوجي الخاص، إذا لم يواكبه وعيٌ ثقافيٌّ وعلميٌّ بمعنى الانخراط في هذا الزمن.

هناك إذن، مفاهيم جديدة تولد، وتحدد مناخا جديدا للمعاملات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. إن الانتقال في مواقع الأفراد، وانزياح مفهوم السلطة المرجعية، كما ظهرت مع الزمن الصناعي، أدى إلى ظهور طبقة جديدة، تفكر وتعمل وفق موقعها الجديد، أو ما يسميه الكاتب "جويل دي غوسناي" "بالبرونيتاريا" Pronétariat، والمُؤهلة

1انظر كتابنا: السرد النسائي العربي مقاربة في المفهوم والخطاب.

لتحقيق "الديمقراطية الجديدة"، التي تسمح لكل المواطنين الذين يتفاعلون عبر المواقع الاجتماعية ووسائط التواصل، بأن يكونوا شركاء في الاقتراحات، وفي تنفيذ القوانين. يستعمل الكاتب هنا، مفهومًا جديدًا "البرونيتاريا" لتعيين الطبقة الجديدة التي تتفاعل وتفكر وتعمل من خلال فضاء المواقع الاجتماعية والوسائط التكنولوجية، من أجل منتوج جديد للديمقراطية، التي أصبحت تُعرف في سياقات غربية بمفاهيم عديدة مثل: الديمقراطية الإلكترونية، والديمقراطية الافتراضية. غير أنَّ "جويل دو غوسناي" لا يعني بالديمقراطية الجديدة، التي تُعطي أهمية لدور الإنترنت، في تطوير وسائل الديمقراطية مثلما يحدث في الانتخابات، والتصويت عن بُعد، ولكن، الديمقراطية الجديدة هي التي تتغير فيها علاقة السياسي بالمواطن من خلال استعمال الوسائط التكنولوجية. وكيف أن مستعملي الإنترنت بإمكانهم تغيير القرارات، والتأثير في السياسات، إذا ما أُعتُمِد التنسيق والتنظيم.

ولعل من أهم مظاهر تحقيق مناخ الديمقراطية الجديدة، التي تسمح للمواطنين بأن يكونوا شركاء في تدبير الشأن العام، واقتراح قرارات، والانتقال بالعلاقة بين السياسي والمواطن من علاقة خدمة إلى علاقة شراكة متساوية، نلتقي بمفهوم التفاعل الذي يعني فعل التبادل الحاصل-أو الذي ينبغي أن يحصل-بين عنصرين أو أكثر. فالتفاعل هو فعلٌ وتبادلٌ. يمكن للفعل أن يحدث، عندما يكون فعل التأثير في القارئ، ولكن القارئ قد لا يتبادل هذا الفعل. وهذا الفعل له وظيفة هو إنتاج التغيير، أو التحول في عنصري التبادل. لا يتعلق الأمر بموقع مرجعي يُرسل المعرفة، وعلى الآخر/القارئ أن يتلقاها بالإيجاب أو السلب، حتى نقول إنّ القارئ متفاعلٌ من خلال إعجابه، أو لا إعجابه بالمادة المعروضة عليه للتفاعل، وإنما التفاعل فعلٌ وظيفي لعناصر التفاعل، ولا يعني عنصرا بعينه، إنما يشمل مختلف عناصر التفاعل حول المادة المعروضة. وعليه، فالتفاعلُ عليه أن يعْبُر مستويات من تدبير الفعل، حتى يُحقق الهدف من التفاعل، ألا وهو إحداث التغيير في العناصر. قد يقول قائلٌ: أليس هذه الصفات هي المطلوبة في الحوار، وسبق للفلاسفة الذين نظَّروا لمفهوم الحوار، أن تناولوا هذه الصفات، واعتبروا الحوار فعلاً تبادليًّا بين الأفراد، كما وجدنا عند المفكر الروسي "ميخائيل باختين" الذي يعتبر الحوار شكلاً من التفاعل الشفهي بين الأفراد، ثم يضيف مبدأ "الحوارية"، ليُعزز مفهوم تحقق الحوار باعتباره تبادلاً بين أصوات/ أنماط

وعي، وليس مجرد تبادل كلام بين أفراد. إنَّ المفاهيم تنتعش من بعضها، وتُطور عمل بعضها، وقد تستمر في أخرى، لكن بدلالة جديدة، ولهذا، تظلّ مستمرة باعتبارها ذاكرة للمفاهيم اللاحقة. وعليه، فإنَّ فلسفة الحوار تُعد جوهر التفاعل. والتفاعل يعتبر تطويرا عمليا للحوار. وبتأمل مبدأ الحوارية لدى باختين، يمكن اعتبار التفاعل فعلاً تبادليًّا بين أنماط وعي تتشكل بالتوازي مع التفاعل، وليست أنماطًا جاهزةً، وربما هنا الفرق بين وظيفة الحوار ووظيفة التفاعل.

لهذا، نقترح مجموعة من الأسئلة حول واقع علاقتنا بالمواقع الاجتماعية، ومختلف وسائل التواصل التكنولوجي؟ وهل طبيعة الاستعمال تُحقق فعل التفاعل؟ أي مستوى من فعل التفاعل حاضرٌ بقوة؟ وهل هناك ملامح لبداية تحقيق التغيير لدى الأطراف المتفاعلة؟ وهل يمكن الحديث في التجربة العربية، عن بداية ظهور طبقة بمواصفات فعل التفاعل؟ هل المنتوج الاجتماعي عبر الوسائط، يُبشر بإمكانية تحقيق التفاعل، والتغيير، والطبقة الجديدة، ثم الديمقراطية الجديدة التي تتأسس على مبدأ الشراكة الحقيقية بين الأفراد والنخب السياسية؟ وهل هناك وعي سياسي بضرورة وضع استراتيجيات في التعليم والإعلام والثقافة والتدبير السياسي من أجل حسن تدبير هذا التحول العالمي؟ هل انفتحت الجامعات العربية على تكوينات علمية تُساهم في التربية على فلسفة التكنولوجيا؟ وهل نستطيع تمثل واقع التحولات التي تعرفها المجتمعات والسياسات العربية من خلال تحليل الخطاب الاجتماعي التكنولوجي؟ تلك عينة من الأسئلة، التي بالاقتراب منها، نفتح النقاش حول موقعنا في الزمن التكنولوجي.

4. التكنولوجيا وحقوق الإنسان

شكلت حقوق الإنسان تحديًا حضاريًّا في القرن العشرين، وعبَرت مواثيقها عن ضرورة حماية الحقوق ضدّ كلّ استبداد أو قمع أو تسلط، أو اختراقٍ من شأنه أن يُحول الإنسان إلى موضوعٍ عارٍ من الاحترام والكرامة. وشكل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تبنته الأمم المتحدة بتاريخ 10 ديسمبر 1948، وثيقة الاعتراف بحقوق الإنسان، ومعاهدات لتبنيها من

قبل الدول، قصد العمل بها، واحترام مبادئها، وتطوير الدفاع عنها، من خلال التربية على ثقافة حقوق الإنسان. ولهذا، عرف القرن العشرون أشكالاً متعددة من النضال الاجتماعي والسياسي، الذي خاضته شعوب العالم من أجل استقلالها السياسي، وانعتاقها من السلطة الديكتاتورية، أو مُطالبتها بفكّ القيد عن أحلامها وحريتها، وتوقها إلى حياة أكثر عدالة. وكلما ناضلت الشعوب من أجل كرامة العيش والحياة، اقتربت من ثقافة حقوق الإنسان، فكان ارتفاع إيقاع مطالب الشعوب، يُنتج أشكالاً جديدة في سياسات القمع والقهر لدى بلدانٍ، ويُجبر سياسات بلدان أخرى –بدرجات متفاوتة-على الخضوع لمطالب مجتمعاتها، والالتزام بمواثيق حقوق الإنسان. وقد أنتج هذا التفاوت في تقدير نضال الشعوب، والاعتقاد بحقوق الإنسان، دولاً ديمقراطية، فسحت المجال أمام شعوبها لكي تكون شريكة في الحكم، وفق الدستور والتعاقدات السياسية، ودولاً أخرى ظلت الديمقراطية تشكل بالنسبة إليها رُعبًا تاريخيًّا، مما جعلها تخرق مبادئ حقوق الإنسان، وتقف ضد تطبيق معاهداتها، حتى وإن وقعت اتفاقيات وثيقة حقوق الإنسان. لقد انعكس وضع الديمقراطية وحقوق الإنسان في البلدان اللاديمقراطية على قيمة الفرد، وبقيت علاقته بالحرية حلمًا، وبالتعبير عن الحقوق مطلبًا، وبالديمقراطية نضالاً سياسيًّا. ويُعتبر القرن العشرون قرن الدفاع عن ثقافة حقوق الإنسان، وتطوير الوعي بالحقوق، وبأشكال الدفاع عنها. غير أنّ منطق حقوق الإنسان بات يعرف تحديًا كبيرًا في الزمن الحالي، خاصة مع منطق الزمن التكنولوجي، وما يوفره من مساحات واسعة ومفتوحة على الحرية، التي تصطدم حدودها –أحيانًا -مع ثقافة حقوق الإنسان. وإذا كانت المجتمعات التي مرت بأزمنة التحول التاريخي، وخضعت بنياتها الاجتماعية والسياسية والثقافية إلى تطور، انعكس على سلوك الفرد، وموقعه وموقفه، وجعله صوتًا قادرًا على التمييز بين حماية شرعية حريته سلوكًا وحركة وتفكيرًا وتفاعلاً وبين حقوق الإنسان باعتبارها المُشترك الإنساني الذي تتوافق حوله المجتمعات على احترام بعضها، وفق المعايير المُتفق عليها قانونيا وإنسانيا وعالميا، مع احترام مبدأ خصوصية السياقات الاجتماعية والثقافية، فإنّ شعوبا أخرى ظلت تعرف بنياتها الذهنية والثقافية، وشروطها السياسية والاقتصادية مسافة كبيرة بينها وبين التحول الحضاري الذي يُمكنها من الوعي بأنّ احترام الذات، وتحصين الحرية الشخصية، يبدأ من احترام الآخر، وتحصين

حريته، بعدم العبث في مساحتها. وقد فضحت التكنولوجيا حقوق الإنسان، ومدى حضورها باعتبارها ثقافة سلوك ومعاملة وإرادة وقرار. إذ، يضع الفضاء الافتراضي المُستعمِل للتكنولوجيا أمام أكبر تحدٍّ لوعيه وثقافته وتطوره؛ ذلك، لأنّ الافتراضي زمنٌ قادمٌ من المُستقبل، أو بتعبير آخر، زمنٌ له علاقة بالمحتمل والممكن. ومن ثمة، فإنّ التواجد فيه يتطلب تحديًا مُزدوجًا في ذات الوقت. من جهة: كيف تتحقق الإقامة في الزمن الافتراضي؟ هل يملك المُستعمل ثقافة الإقامة؟ وهل يتوفر على استراتيجية الحياة في هذا الفضاء؟ وكيف تنتقل شروط الحياة الواقعية إلى الحياة الافتراضية؟ ومن جهة أخرى: هل يمتلك قدرات الاندماج في هذا الافتراض؟ وهل يستطيع أن يُقيم بهذا الزمن، مع مراعاة لحقوق الإنسان التي يُناضل من أجلها في الزمن الواقعي؟ للاقتراب أكثر من هذه الازدواجية التي باتت تُشكل زمن الأزمة بالنسبة إلى المستعملين الذين يتعاملون مع الافتراضي التكنولوجي بثقافة جديدة، لا تميز بين الحرية المكفولة في حقوق الإنسان، باعتبارها شرطًا موضوعيًّا لمبادئ حقوق الإنسان، والتسيب أو بتعبير آخر، فوضى الحرية، المُتمثلة في تبخيس قيمة الحرية، وتحويلها إلى نقمة تُدمر الذات قبل الآخر، نُذكِر ببعض مظاهر فوضى الحرية، وعلاقتها بثقافة حقوق الإنسان، ونشير فقط إلى نموذجين من اختراق الحرية، وجعلها نقمة عوض قيمة. يتمثل النموذج الأول في عملية اختراق الحسابات الشخصية للأفراد، والعبث بأصحابها، وبحياتهم وتصوراتهم وآرائهم، وتمرير مواقف وصور بأسمائهم، مما ينتج عنه، مشاكل قد تصل إلى حدّ التفكير في الانتحار، إذا مسّت الجانب الأخلاقي للشخص. وهناك أمثلة كثيرة لهذا النموذج الذي بات مهيمنا، مما يدفع الكثيرين إلى مُغادرة هذا الفضاء الافتراضي، خوفا من الاحتمالات المفتوحة على العجب واللامعقول. تتحول حياة الأفراد –مع هذا النموذج-إلى حالة خوفٍ ورعبٍ. وعليه، يُصبح التحرك في هذا الفضاء مُقيدا، ومعه تبدأ حرية التعبير والاكتشاف تتضاءل، وتنتقل فلسفة التكنولوجيا من استثمار الوسائط لتقاسم التجارب، والاستفادة منها، من أجل حياة أجمل، وفكر مُتحرر من الرأي الواحد، إلى فضاء ملغومٍ، تضيع معه مبادئ حقوق الإنسان. أما النموذج الثاني فيتمثل في عملية سرقة محتويات الفضاء الافتراضي للشخص. ونقصد بالسرقة هنا، أخذ كلام أو أفكار أو نصوص شخص، ونقلها إلى فضاءات أخرى، بدون اعتماد اسم منتجها الأصلي، أو الإحالة على

مرجعها الأول. يُعبر هذا الاستعمال عن مفهوم خاطئ لمعنى الافتراضي، الذي يُصبح مساحة مفتوحة على العبث، وكأنها قادمة من زمن لا إنساني، وبالتالي لا تخضع إلى معايير قانونية وحقوقية. ينتج عن هذا النموذج عدة ظواهر: أولها أنها تُؤدي بالبعض إلى التوقف عن تقاسم التجارب في المعرفة والحياة، فيتعطل منطق الوسائط التكنولوجية الذي يسمح بتطوير تبادل الخبرات الفردية والجماعية، وتطوير الذات باستثمار المعارف القادمة من الآخرين المتعددين والمتنوعين، وثانيها، أنّ عدم تفعيل القانون في متابعة السارقين، على مستوى المواقع الاجتماعية، وكل محتويات الوسائط التكنولوجية، يُسهم في تكرار الظاهرة، وبتكرارها تُصبح عادة مألوفة، وهنا الخطورة الكبيرة؛ إذ يُحوِل هذا النموذج السرقة إلى فعل عادي، ومباح ، وممكن، بل الأخطر من ذلك، الدفاع عن الظاهرة، وإعطائها أسماء أخرى، تعطيها شرعية التداول. وهنا، ندخل مرحلة إفراغ القيم من مضمونها، واستبدال جوهرها بقيم جديدة، لا تمت بصلة إلى القيم والتعاقدات الإنسانية، وإلى فلسفة احترام الآخر والوجود بكرامة. وهذا ما بتنا نلاحظه من تكرار ظاهرة السرقة في البحوث الجامعية، التي تفترض الأمانة العلمية. يتولّد عن هذين النموذجين استعمالات عديدة، تستغل مساحة الحرية في الفضاء الافتراضي، لتعبث بخصوصيات الأفراد، وتتلصص على حياتهم، وتُفبرك صورهم، وتُلقي بهم في دوامة الرعب التكنولوجي. إضافة إلى عملية ابتكار حكايات أو صور أو فيديوهات، هدفها الأساسي إحداث فعل التدمير. وقد أدت هذه النماذج إلى تدمير أشخاص وأسر وأطفال.

إنّ غياب ثقافة التعامل بالفضاء الافتراضي ومعه، وغياب الوعي بحقوق الإنسان باعتبارها قيمة إنسانية، ومُكتسبا ديمقراطيا، من المفترض أن تكون سلوكا فرديًّا تلقائيا، دون الحاجة إلى وسائل فرضها وإلزامها بالقوة، وضعف الوعي الديني، الذي يحضر شعارات وخطبًا، ويتعثر عند الممارسة والمعاملة، إلى جانب عدم تفعيل الإطار القانوني للحياة الافتراضية، كل هذا يُحوِل مفهوم التقاسم الذي جاءت به الثقافة التكنولوجية من أجل دعم مبدأ الشراكة، وتحفيز البشرية على التواصل المُنتج، إلى مفهوم فارغ من دلالته الوظيفية إنسانيًّا وحضاريًّا.

لا شكّ، أنّ الفضاء التكنولوجي قد فكّ الحصار على المعلومة، وبسبب ذلك، وصل آلام الناس وآهاتهم وصرخاتهم إلى المسؤولين عن الشأن العام، وبفعل الانفتاح على الفضاء، تم فضح الاختراقات في السياسة والمجتمع والاقتصاد والتعليم، واستطاعت الشعوب أن تحرر نفسها من قيد الحرية في الفضاء الواقعي والسياسي، وتُجرب التعبير، فاكتسبت صوتًا حرًّا، ساعدها على تجاوز المؤسسات التمثيلية لمطالبها، التي فشلت في أداء الوساطة الفعلية بين الشعوب والسلطة الحاكمة،غير أنَّ، غياب/ضعف المرافقة الثقافية والفلسفية والعلمية لثقافة الاستعمال التكنولوجي، مع تطوير الوعي بمبادئ حقوق الإنسان حسب مستجدات تحركات الإنسان في فضاء افتراضي، يفترض حركة فكرية وقانونية من أجل حماية الحياة البشرية من كل انحراف، من شأنه أن يُفرغ المبادئ والقيم واللغة والمفاهيم من كلّ معنى.

5. السيرة الذاتية والمواقع الاجتماعية: تحولات في الخطاب

شكلت السيرة الذاتية، في الثقافة العربية إشكالية التحقق الإبداعي، كما استمرت موضوعًا للجدل في الوعي الاستقبالي للكتابات التي انتصرت على الإشكالية، وتحررت منها، بحكي الذات إبداعًا. ولعل إشكالية الموضوع، تعود إلى وضعية الفرد العربي في مجتمعه، ووضعية الحرية الاجتماعية والسياسية والثقافية، والتي تحول دون التعبير المفتوح على الذات. انتقلت الإشكالية إلى التعبير الروائي، فوجدنا مجموعة من الروائيين-خاصة في التجارب الأولى-يُحذرون القارئ، من الخلط بين الشخصيات المُتخيلة في الرواية، وشخصية الكاتب الواقعية. تزامن ذلك، مع خضوع النماذج السيرذاتية إلى مظهرين اثنين: من جهة، تركيز المؤلف على حكي ذاته– الإيجابية، تلك التي انتصرت على إكراهات الحياة، ونجحت في تدبير الذات، فقدمت بذلك حكمة للقراء، مثلما نجد في "الأيام" (1929) لطه حسين (1889-1973)، ومن جهة ثانية، عندما يتحرر المؤلف في الحياة الاجتماعية والواقعية، وينجح في الانتقال بهذا التحرر من المجتمع إلى الكتابة، فيحكي تحرره الاجتماعي، ويعري تناقضات المجتمع، ويقدم للقارئ سيرة ذاتٍ، خارج تعاليم المجتمع، وتعاقداته المألوفة، مثلما حدث مع "الخبز الحافي" لمحمد شكري (1935-2003). مع ذلك، بقيت السيرة الذاتية،

تُلازم التعبير الإبداعي، بدون التصريح، أو التلميح، فتأتي ممتزجة بوضعيات روائية، أو قصصية. وكلما انفتحت المجتمعات على الحرية، والتعبير، تقدمت السيرة الذاتية بجرأة، نحو التعبير الإبداعي. فجاءت تحت مواصفات عديدة مثل: الرواية السيرذاتية، والسيرة الروائية، والمحكيات، والمحكي الذاتي، والتخييل الذاتي. وقلما بدأنا نجد نصوصا ترد تحت تعيين "السيرة الذاتية". ولعل الأمر، يعود إلى الوعي النظري بمفهوم السيرة الذاتية، وصعوبة كتابة الذات، خارج منطق التخييل. يبقى أن الحديث عن السيرة الذاتية، يُرافقه الوعي بالتفكير في علاقة الفرد بالحرية والتعبير في المجتمعات العربية.

تأسيسًا، على علاقة السيرة بمناخ الحرية، يأتي كتاب الباحثة السعودية الدكتورة "أمل التميمي" "تحولات السيرة الذاتية وممارساتها الجماهيرية بعد ثورات الربيع العربي"[1] (2017)، وذلك من خلال "الصفحات الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في تحولات الأدب الذاتي". لا تعود أهمية الكتاب، إلى معالجته لموضوع السيرة الذاتية، ومواقع التواصل الاجتماعي، بل، إلى كونه اشتغل على التحول الذي عرفه الحكي الذاتي، مع الوسائط التكنولوجية، بدعمٍ من مؤشر تاريخي، ساهم في تحويل الوسائط إلى مجالات مفتوحة على التعبير المفتوح على الذات، بكل جرأة وحرية. يتعلق الأمر بما اصطلح عليه بـ"الربيع العربي". إذا كان هذا المؤشر ما يزال في مرحلة التحليل التاريخي والسياسي، وما يزال الموقف منهُ مُتضاربا، والتساؤل مستمرا حول مدى تحققه –فعلاً-باعتباره ربيعًا سياسيًّا وحقوقيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا في التجربة العربية، فإنّ شيئًا ما قد حدث، بفعل هذا المُؤشر، أو بتعبير آخر، هناك تحولٌ ما قد حدث، في علاقة الإنسان العربي بعلاقته بالحرية والتعبير عن ذاته.

تَلفت الباحثة السعودية "أمل التميمي" الانتباه إلى هذا التحول، وتبحث في العلاقة المُنتجة بين مواقع التواصل الاجتماعي والسيرة الذاتية في التجربة العربية الحديثة، وما نتج عن هذه العلاقة من وعي جديد بالسيرة الذاتية في الاستعمال الاجتماعي العربي، وأهمية الوسيط التكنولوجي في تحرير "ذات" الفرد العربي، من وصايا المجتمع، والذاكرة الجماعية،

1أمل التميمي، تحولات السيرة الذاتية وممارساتها الجماهيرية بعد ثورات الربيع العربي.

مع جرأة تقاسم سيرة الذات مع الآخرين، وقبول تحويلها إلى موضوع للتفاعل، والسماح لوجهات نظر مختلفة، قد تُعارض السيرة، وتنتقدها، وقد تصدر حُكما سلبيا، كما قد تسجل إعجابا، ودهشة بالسيرة. وقد تأثر حكي الذات بطبيعة وسائط مواقع التواصل الاجتماعي.

يُناقش الكتاب التحولات التي تعرفها السيرة الذاتية العربية على مواقع التواصل الاجتماعي باعتبارها فضاءات جذب وانبهار، ومساحات افتراضية، لا تُلزم المُستعمل العربي قيدا أو شرطا، باستثناء احترام شرط حجم الكلمات في بعض الوسائط، وليس كلها. ولعل من أهم التحولات التي طرأت على السيرة الذاتية في علاقتها بالمواقع الاجتماعية، نلتقي بهيمنة حكي الذات بكل جرأة، من خلال الصفحات والحسابات الشخصية عبر الفيسبوك وتويتر وسناب شات وانستغرام، ثم البوح والمُكاشفة، والتوثيق عند عموم الجماهير. كما أنّ كتابة الذات لم تعد مرتبطة بكُتاب وأدباء، ومؤلفين لهم وضع اعتباري في ثقافة الكتابة، إنما انفتحت مواقع التواصل الاجتماعي على سِير الناس العاديين، والذوات القادمة من المجتمع، بآلامها وأحلامها، بطموحاتها وانكساراتها، وبمفهومها لحرية التعبير الذاتي. إضافة إلى ذلك، أصبحت السيرة مرتبطة-أكثر-بتوثيق اليومي، والجزئي، والبسيط، وتقاسمه مع الآخرين. بل، تحولت السيرة إلى شبه يوميات مُتحركة بتحرك صاحبها (صور، فيديوهات، مباشر...) في سياقاته الاجتماعية واليومية، ومعه يتحرك المتفاعلون.

يعتبر كتاب "تحولات السيرة الذاتية وممارساتها الجماهيرية بعد ثورات الربيع العربي" مُنطلقا معرفيا، للتفكير بجدية، في دور الوسائط التكنولوجية، ومواقع التواصل الاجتماعي في حياة الأشكال التعبيرية، ودورها في تطوير هذه الأشكال، ثم أهمية هذه الوسائط في إتاحة الفرصة، أمام الفرد العربي، لكي يُعيد مُشاهدة ذاته، من خلال عرضها أمام الآخرين المُتفاعلين، وإعادة كتابتها والتعبير عنها؛ أي إعادة اكتشاف الذات من جديد، وبطريقة مختلفة، وجديدة، مما يُسهم في الاقتراب-أكثر-من شكل تفكير الفرد العربي في ذاته. إنه اقتراب مفاهيمي، أكثر منه اقتراب من مجرى حياة عادية.

بالنظر النقدي إلى مختلف الأشكال السردية، خاصة الروائية التي تصدر منذ العقد الأخير من القرن العشرين، نلاحظ دخولا مُباشرا ملحوظا للمؤلف باعتباره ذاتًا ساردة ومسرودة في النص الروائي، يتم ذلك، إمّا بإعلان الاسم الواقعي للمؤلف، وتحويله إلى مكون نصي، وجعله عنصرًا متخيلاً، أو يرد من خلال إشارات وعلامات ذات علاقة بالمؤلف في السياق الواقعي مثلما نجد في نصوص الكاتب المغربي "محمد برادة"، في نصوصه "لعبة النسيان" (1987) و"امرأة النسيان" (2001) وغيرهما، وفي أعمال عربية كثيرة، مما جعلنا أمام مجموعة من الأسئلة مثل: الهوية الأجناسية لهذه الأعمال، وطبيعة حضور المؤلف. هل هو حضور لسيرة حياة أم أفكار. بمعنى، هل تتحول الرواية إلى معبر للسيرة الذاتية؟ وهل يستثمر المؤلف التخييل الروائي، لتمرير سيرته الذاتية؟ تلك بعض الأسئلة، التي يطرحها نظام هذه الأعمال السردية، مع إضافة أسئلة جديدة: إلى أيّ حدّ ستطور المواقع الاجتماعية وعلاقتها بالحكي الذاتي، هذا النوع من الأعمال الروائية؟ وهل أسهمت الوسائط التكنولوجية، والمواقع الاجتماعية في تحرير السيرة الذاتية العربية، وتحرير الفرد العربي من مراقبة المجتمع، ورعب السياسة، والرقيب الذاتي الذي يحضر عائقًا أمام البوح وحكي الذات؟ وهل يمكن انتظار ازدهار السيرة الذاتية باعتبارها جنسًا أدبيًّا مكتفيا بذاته؟

لكن، عندما نتحدث عن علاقة السيرة الذاتية بمواقع التواصل الاجتماعي، لا يعني هذا أنّ كلّ ما يُنشر من حكي الذات، ينتمي إلى المنطق الأدبي، وأن أصحابه ينطلقون من وعي الكتابة الأدبية. قد نلتقي بنماذج تتحقق فيها الأدبية نسبيًّا، خاصة مع الشذرات النصية، والتي قد تشكل بداية لنص سيرذاتي، غير أن كتابة الذات، والتفاعل معها، من شأنه أن يُحرر التعبير في الحياة الواقعية. وهذا ما بتنا، نلاحظه من حرية التعبير الاجتماعي والسياسي في كثير من السياقات العربية. لذلك، فإن علاقة الوسائط بالتعبير عن الذات، يعتبر موضوعًا جديرًا بالانتباه، وتحليل عناصره. وإذا كانت الباحثة "أمل التميمي" قد تناولت هذه العلاقة من خلال الصفحات الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي، ووقفت عند التحولات التي طرأت على الأدب الذاتي، فإن مشاريع بحثية أخرى، تستطيع أن تُطور النقاش حول هذه العلاقة، من خلال موضوع: "تحليل الخطاب الذاتي بمواقع التواصل

الاجتماعي". لا شكّ، أنّ مقاربة هذا الخطاب، ستمكننا من تصورات جديدة بواقع الفرد العربي، ووعيه بذاته.

6. في الحاجة إلى سوسيولوجيا التكنولوجيا

تعرف المجتمعات تحولات في أنظمتها، وعلاقاتها الاجتماعية، بفعل طبيعة الاستعمال التكنولوجي. تتفاوت المجتمعات في نوعية التحولات، حسب علاقة أفراد ومؤسسات المجتمع بالتكنولوجيا. وإذا كان علم الاجتماع يهتم بدراسة المجتمع، وبالقوانين التي تحكم تحولاته، وبمظاهره وظواهره، ويبحث في طبيعة سير التحول، وموقع الأفراد فيه، فإن المجتمعات اليوم في حاجة إلى سوسيولوجيا التكنولوجيا، بهدف تحليل وضعية المجتمع وأفراده، وتحليل سلوك الأفراد، وعلاقاتهم بالتكنولوجيا، وتأثير العلاقة في مفهوم الحياة والقيم والفرد والأسرة والذاكرة.

تعود أهمية الحاجة إلى سوسيولوجيا التكنولوجيا إلى أربعة عوامل:

أولاً: الاستعمال الكبير والسريع للتكنولوجيا، وفي كل الأوساط الاجتماعية، مما يجعل المجتمع يتحول بسرعة، ويتجاوز نظامه المألوف؛

ثانيًا: طريقة الاستعمال التي أصبحت تطرح أسئلة على طبيعتها ووظيفتها، ومدى خدمتها للمجتمع؛

ثالثًا: ما تُلحقه عملية الاستعمال التكنولوجي السيئ من خرقٍ واضحٍ وملموسٍ للإنسانية وللحضارات وما تحدثه من أذى للأفراد والمجتمعات؛

رابعًا: لكون هذا الأذى تصبح له ذاكرة تكنولوجية، يستمر تاريخيًّا ومع الأجيال.

تصبح الحاجة ملحة إذن، لسوسيولوجيا التكنولوجيا، من أجل دراسة علمية وموضوعية للمجتمع، وهو يتحول مع الاستعمال التكنولوجي. وعليه، فإنَّ الاهتمام السوسيو تكنولوجي ببنية المجتمع والتكنولوجيا، سيسمح بالوعي الاجتماعي بهذه التحولات، وقراءة عناصره، وتحليل أسبابه، من أجل فهم التحول، في أفق تجاوز السلبيات التي قد تهدّد

توازن المجتمع إنسانيًّا، وذلك من خلال البحث في مختلف العناصر التي تشكل البنية، ومن ذلك: التكنولوجيا في الحياة الاجتماعية، من حيث مدة الاستعمال اليومي، وطبيعة التوظيف، والعلاقات الاجتماعية في مجتمع التكنولوجيا، وتأثير هذه العلاقات على المجتمع الواقعي، والموقع الافتراضي للفرد، ولغة الاستعمال التكنولوجي، والسلوك الفردي في المجتمع التكنولوجي، والتشريعات القانونية المرافقة للاستعمال التكنولوجي، والذهنية التكنولوجية، وغير ذلك من قضايا التكنولوجيا باعتبارها استعمالاً اجتماعيًّا. وهذا من شأنه أن يجعل الدرس السوسيولوجي يُعيد النظر في مفاهيم عديدة منها: الفرد، المكان، الزمن، العلاقات الاجتماعية، المجتمع، النسق، البنية الذهنية، الأسرة، المدرسة، التربية، إلى جانب الاهتمام بمفاهيم جديدة، باتت تحدد نظام المجتمع مثل: الافتراضي، الروابط، وغيرهما. ولكون مظاهر الاستعمال التكنولوجي تأخذ – في غالب الأحيان- أبعادًا نفسية، فإنّ الدرس السوسيو نفسي يُصبح – هو الآخر-ضرورة علمية وثقافية، لمقاربة ظاهرة الاستعمال التكنولوجي. وكلما تأخر البحث العلمي والمعرفي في اعتماد مثل هذه المقاربة السيوسيو نفسية– تكنولوجيا، انعكس ذلك على نمو ظواهر اجتماعية ونفسية وقيمية وقانونية، ستحتاج لا شكّ في ذلك، إلى عقود من الزمن لتجاوزها، دون تجاوز آثارها، ما دامت الذاكرة التكنولوجية تتجاوز اليوم إرادة الشعوب والأفراد.

وعليه، فإن الدرس السوسيو نفسي للتكنولوجيا أصبح مطلبًا ملحًّا، من أجل صياغته وبناء منظومته المفاهيمية والإجرائية، ليصبح مقاربة علمية للاستعمال التكنولوجي، هذا يتطلب من علماء السوسيولوجيا تطوير المقاربة الاجتماعية، والانفتاح على الظاهرة التكنولوجية بعلمية ومعرفة، واستنباط آليات التحكم فيها من منطقها، وتطوير مفاهيم علم السوسيولوجيا، انسجامًا مع تحول المجتمعات اليوم.

ولعل من بين الظواهر اللافتة للانتباه، التي باتت تشكل مظهرًا تكنولوجيا، يعبر عن السلوك الاجتماعي اليوم، في علاقة بطريقة الاستعمال التكنولوجي، نشير إلى ظاهرة، تحتاج إلى مقاربة سوسيونفسية تكنولوجية. تتمثل في فعل التقاط صور جثث الموتى والقتلى، والتسابق في تقاسمها، ثم تقاسم التقاسم الذي يطال مختلف الوسائط من فيسبوك وسناب وواتساب وانستغرام وتويتر. لا نتحدث هنا عن بعض وسائل الإعلام العربي التي

تقوم بإشهار صور الجثث في جغرافيات القتل والدمار، والتشهير بالجثث خدمة للسياسي، وملْء الفضائيات وأخبارها، وإعلانات برامجها بصور الموتى والقتلى تصريفا لأيديولوجية معينة، وأحيانا يتم التقاط سيلفي مع الجثة. وهو ما يفرض طرح سؤال مفاده: ألا يعني هذا، أن الاستعمال التكنولوجي هو حالة حضارية، ذات علاقة بالمكتسبات التاريخية والثقافية والحقوقية والقانونية؟

لا نقصد هنا، إذن، الإعلام العربي، الذي يحتاج -بدوره-إلى تحليل سلوكه الإعلامي، وهل يمكن اعتباره عاملا مساعدا في انتشار الظاهرة؟ ولكن نركز في ظاهرة السلوك الاجتماعي التكنولوجي على الشارع العربي، ونهتم بالفرد الاجتماعي، وتعامله مع الحدث الاجتماعي، وعلاقته بالاهتمام الكبير بالتقاط صور ما يحدث في الشارع، دون احترامٍ لحرمة ميتٍ، أو مصابٍ أو جريحٍ، أو لأهل المُصابِ، وما يمكن أن ينتج عن هذا الفعل، من أذى يطال حاضر الأهل ومستقبلهم. لا ننكر أهمية الشارع في إيصال الأحداث إلى الإعلام أو القضاء، كما لا نُبخس دور الفعل الاجتماعي في توثيق الحدث، بطريقة سريعة، تتحول – أحيانا كثيرة-إلى دليل قضائي أو اجتماعي أو إعلامي. إنّ هذا الفعل الاجتماعي الذي يُنجزه المواطنون، باستثمار التكنولوجيا، من أجل فضح الفساد، والإخبار عن أبطاله وفضاءاته، والتعبير عن الظلم ومآسيه، والتضامن مع المحتاجين، والمطالبة بالحقوق، وتعرية الواقع، هو فعلٌ نضالي وبامتياز. لا نقصد بالظاهرة، إذن، الفعل الاجتماعي الذي تحول إلى فعل سياسي وإعلامي وحقوقي، وبات يتجاوز- في كثير من الأحيان-دور الأحزاب والمؤسسات التمثيلية للشعب، إن هذا الفعل مُحصن بشرعيته الوظيفية التي تجعل من المجتمع فاعلاً سياسيًّا. إنّما نعني بالظاهرة، تلك المتعلقة، بالتركيز على التقاط صور الضحايا، والإسراع بتقاسمها مع الآخرين، ونشرها في المواقع.

عندما يقع حادث سير في الطريق، أو جريمة قتلٍ، أو ممارسة عنفٍ أمام الملأ، أو انهيار منزلٍ، أو ما شابه من الأحداث التي تعرفها حياة المجتمعات، فإن، أكثر الأفعال نشاطًا من قبل أفراد المجتمع، هو فعل التقاط صور الضحايا قبل الاهتمام بالحدث في حدّ ذاته، أو بالفعل الإنساني من مساعدة، أو خدمة. تصل الصورة بسرعة قاتلة، وبدم باردٍ إلى المواقع الاجتماعية، ويتم تقاسمها عبر وسائط الواتساب وانستغرام، والفيسبوك والتويتر مثل

انتشار النار في الهشيم، أو أكثر بكثير. تصل الصورة قبل الخبر، وتتعثر المعلومة عند الصورة، وتبدأ الحكايات تنصب الخيام عند عتبة الصورة، وتنفجر التعليقات، إما مخترعة حكايات، تتوالد وتتعقد، وتبتعد عن حقيقة الصورة، أو تأتي عبارة عن ضحك وسخرية، تُحول الميت إلى موضوع لعبور انطباعات غير مسؤولة إنسانيًّا. وهنا، يحق لنا طرح بعض الأسئلة حول أسباب هذا السلوك التكنولوجي لدى بعض أفراد المجتمع: ما هي الدوافع السوسيو نفسية والثقافية التي تُحول المأساة إلى مشهد للعبث؟ ما الذي يدفع الناس إلى الانشغال بالتقاط صور الضحايا، دون اعتبار لحق الضحية في صيانة كرامته وهو ميت؟ ما هي العوامل النفسية التي تجعل البعض يستمتع بأخذ سيلفي مع جثة؟ لماذا يتم تقاسم صور القتلى، دون الاهتمام بمشاعر الأهل؟ ولماذا تنشط حركة تقاسم ما هو مُسيء لكرامة الإنسان، دون التريث؟ لماذا تنشط حركة تقاسم ما هو مسيء لحقوق الناس؟ ولماذا يتعثر فعل تقاسم صور وأخبار وأحداث التميز والنجاح؟ هل يُمكن الحديث عن حالة نفسية تولدت مع الاستعمال التكنولوجي؟ وهل لكاميرات المحمول سلطة على المُستعملِ؟ هل باتت المجتمعات تعيش فراغًا وجدانيًّا، يتم ارتواؤه بكل ما هو مثير ومُرعب ومخيف؟ هل يُعبر ذلك عن أزمة قيم ومشاعر؟

إذا كان تاريخ التفكير الإنساني يشهد تطورًا مستمرًا في العلوم والمعارف، فإن أكبر تحدٍّ للإنسان هو حمايته لحقوق الإنسان مهما تعددت وتنوعت واختلفت العلوم والتكنولوجيات. والسبيل الوحيد لتحقيق هذا التحدي، هو امتلاك الوعي الثقافي بالعلوم واستعمالاته.

التدبير الإداري والتكنولوجيا
الإدارة الإلكترونية والتدبير الديمقراطي

إذا كان "الربيع العربي" الذي شكّل محطة بالغة الأهمية في المنطقة العربية، ما يزال الجدالُ حوله قائما، في معنى طبيعتِه، هل هي ثورات تُعيد ترتيب مفهوم الدولة في التجارب العربية، أم مجرد احتجاجات اجتماعية تُطالب بتأمين كرامة العيش للفرد العربي، دون المرور إلى التفكير بتغيير الحكم السياسي، أم انتفاضات اجتماعية عن القهر السياسي الذي يُعمق التفاوت الاجتماعي والاقتصادي، أم هي صرخة مجتمعات مُهمشة، استثمرت حالة الربيع العربي، بدعم من الوسائط التكنولوجية، فراحت تُطلق صرختها، إعلانًا عن كونها ذوات موجودة في الواقع، غير أنها مُغيبة في التدبير السياسي، أم هي مؤامرة خارجية، تدخل في صناعة خريطة جديدة للعالم العربي، حسب مستجدات اللعبة السياسية العالمية، كما يذهب البعض، الذي لا ينظر إلى "الربيع العربي" باعتباره محطة تاريخية في حياة الشعوب العربية، بقدر ما هي لعبة سياسية، تمّت برمجتها في دواليب القوى السياسية الكبرى، ونُفذت في الشوارع العربية، إذا كان الاختلاف حول الربيع العربي ما يزال مُثيرا للنقاش والتساؤل، وإذا كان الواقع العربي في مختلف السياقات العربية – بمستويات مختلفة-، ما يزال يعيش مخاضًا تاريخيًّا، أو بتعبير أدق، ما يزال يقف عند العتبة، زمن الأزمة، أزمة الانتظار، انتظار العدالة الاجتماعية التي تُخول لكل المواطنين العيش بكرامة في بلدانهم، فإنّ الشيء المُتفق عليه، مهما اتسعت الهوة بين المقاربات حول "الربيع العربي"، أن التدبير الديمقراطي يشوبه خلل في الإستراتيجية، والإرادة السياسية، وقبلهما خلل في الوعي الوطني. ولهذا، فإنّ الشعارات التي ارتفعت منذ 2011، كانت تُعبر عن هذا الخلل، الذي يُنتج – بدوره-عاهات سياسية بلون اجتماعي، مثل المحسوبية، والرشوة، والبطالة، والميز الطبقي، وعدم تكافؤ الفرص، وغير ذلك من العاهات التي يتسبب فيها التدبير السياسي، وتنعكس اجتماعيًّا واقتصاديًّا على الشعوب. وكما تتم سرقة الفُرص، وثروات البلاد، تتم سرقة

الحلم والطموح والأمل والابتسامة. لهذا، تتسع قاعدة الشباب في المجتمعات العربية، ومع هذه القاعدة يتقلص الحلم، فيخفت الإبداع، وينكسر الطموح، فتتعثر الإرادة، ويختنق الشباب، فتضيع الابتسامة، ووهج الشباب، ثم يضيع الوطن مع خلل مؤسسات الدولة. ولأنّ القاعدة تتسع، فإن الضياع يتعمق، والاحتجاجات تتزايد، ومُستقبل الأوطان يُصبح في خطر، مهما تعددت جراحات التجميل والترقيع. ولعل التعبير الذي رافق "الربيع العربي" وكاد أنْ يكون أيقونة الحالة التاريخية، "الشعب يريد" خير دليل على فشل كل الوسائط من أحزاب ومؤسسات الدولة، وإطارات نقابية في تحقيق مطالب الشعوب، وإيصال صوتها، وتنفيذ خياراتها، من أجل حياة عادلة وكريمة، يتمتع فيها الفرد/ المواطن بحقوق المواطنة، ويستفيد فيها من خيرات بلده، ويحظى باحترام وجوده. وعندما نصف الدول العربية – أغلبها، إن لم نقل كلها– بكونها تقف في العتبة، زمن الانتظار، معناه أنّ الأزمة ما تزال قائمة، وسبل الانفراج ضعيفة، أو ضبابية، نظرًا لكون الشعوب ما تزال تردّد تعبير "الشعب يريد"، وبتعبيرات صارمة، وأكثر تحديًا للعتبة، بل الأكثر من هذا، خطت الشعوب خطوات أكبر، نحو الحركة الاحتجاجية، خارج أروقة الأحزاب والإطارات النقابية والحقوقية، التي تحولت – بدورها-إلى عنصر خلل في المسار الديمقراطي للشعوب، لكون – أغلبها فشل في لعب الوساطة الحقيقية والمسؤولة بين الشعوب ومؤسسات الدولة، وخسِر-بذلك-ثقة الشعوب والتاريخ.

وعليه، فإنّ المخاض سيظلُ قائما، والحركات الاحتجاجية ستظل في تطور مستمر، في خطاباتها ووسائلها وأفقها؛ لأن عودة الشعوب إلى مواقعها الأولى، لم تعد ممكنة، ولأنّ خطاب/صوت الشعوب تحول إلى إرادة تاريخية، وقرار مجتمعي. وإذا كان التدبير الإداري في الممارسة العربية، وراء انتشار المحسوبية، والفساد، والبيروقراطية، والتمييز بين المواطنين، والرشوة، مما يجعل الديمقراطية بعيدة المنال، حتى وإن وقَعت الدول على مختلف مواثيق حقوق الإنسان، وعلى المعاهدات الدولية، ونظمت أكبر المؤتمرات حول التنمية وقضايا الإستراتيجية، واشترت آخر صيحات البرامج التعليمية، فإنّ عجز المواطن عن الوصول إلى شهادة إدارية، بأسرع وقت، وباحترام، بسبب المحسوبية، ومعاناة المواطنين مع الخدمات الاجتماعية، التي تُعيق الوصول بسرعة إلى الخدمة، أو تمنع تحقق الوصول، وعدم تمكن

المواطن من أخذ فرصة في الدراسة أو العمل، وانتحار أمل الشباب عند عتبات الإدارات والمستشفيات والمصانع، تُشكل كلّها مظاهر الفساد الذي بات يُهدد المستقبل، بعدما دمَّر الحاضر. غير أن تجاوز الفساد، والبيروقراطية، والمحسوبية لا يُعتبر أمرا مُستحيلا، إذا ما تحققت الإرادة السياسية الحقيقية، وليست الملغومة بالشعارات والوعود الكاذبة، وإذا غلب حُبّ الوطنِ حبّ كراسي السلطة. ولهذا، فإن أهم مخرج تاريخي لتجاوز العتبة، والانتقال إلى مرحلة تاريخية تكون فيها كرامة المواطنين والشعوب مُحصنة من الفساد، حتى تضمن أغلب الدول العربية سيرها السوي نحو المستقبل، بدون عاهات اجتماعية وسياسية واقتصادية، هو استثمار جوهر التكنولوجيا، وتحويلها إلى وسائط خدماتية للمواطن والدولة والمستقبل. وإذا كانت الإدارة الإلكترونية عبارة عن منظومة إلكترونية متكاملة، تهدف إلى خدمة الفرد والمعلومة، بأقل تكلفة، وبأسرع وقت، مع ضمان الشفافية والنزاهة، وتُمكن مستعملها من نتائج موضوعية، تُؤمن مبدأ المساواة في الخدمة، وتُحقق العدالة بين المواطنين في الخدمة، بدون معيار المركز، فإن هذا التدبير الإلكتروني للإدارة سيجعل الكل سواسية أمام منطق الخدمة، وسيجعل الكل مسؤولاً عن عمله، وبالتالي تُصبح المُحاسبة عادلة، لأن الكل يخضع لنفس قانون الخدمة. كما سيُوفر نظام الإدارة الإلكترونية وقتا مهما للتفكير في تطوير الخدمة، حسب حاجيات المواطنين. بهذا الشكل تحقق الإدارة الإلكترونية الشفافية، والنزاهة والمساواة في الخدمة، عكس الإدارة التقليدية التي ما تزال الكثير من الدول العربية تعتمدها في تدبيرها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ولذلك تتراكم المشاكل، وتتعقد ويضيق أفق المُواطنة، وتسقط الآمال عند عتبات الإدارة، ويقترب الشباب من اليأس، وتذبل الابتسامة. وعليه يمكن أن نطرح مجموعة أسئلة ملحة: لماذا تخشى أغلب الدول تطبيق نظام الإدارة الإلكترونية؟ ولماذا عند الحديث عن مفهوم رقمنة الإدارة، يتم التركيز على عدد الحواسيب التي اقتنتها الإدارة، دون الحديث عن مفهوم التدبير الإلكتروني؟ هل يُعبر ذلك عن خوف من الخدمة المتساوية لجميع المواطنين؟ أم يُعبر عن خوف طبقة تستفيد من نظام البيروقراطية، وتخشى فقدان مكتسباتها؟ هل يمكن الحديث –بهذا الشكل-عن استعمار الشعوب من قبل فئة قليلة تخشى دمقرطة المعلومة، والتساوي في الخدمة، والشفافية في تمكين الفرص؟ أم هو كسل حضاري لا يجتهد من أجل تجاوز العتبة كما

فعلت دول آسيوية، تركبُ اليوم التحدي العالمي، وتفرض احترام العالم لها، وقبل ذلك، احترام مواطنيها؟ أم الأمر له علاقة بسوء تدبير العلم؟

تلك بعض الأسئلة التي نستحضرُها، ونحن نُفكر في الإدارة الإلكترونية كتدبير خدماتي، يُحقق مفهوما مُتطورا للدولة ومؤسساتها، حين يجعلها تنتقل من التدبير التقليدي البيروقراطي إلى تدبير أكثر انفتاحًا على السرعة والجودة والمعلومة والمعرفة.

الإدارة الإلكترونية هي نظام متكامل من التدبير الخدماتي، يشمل التعليمات والقرارات والتقييم في الوقت ذاته، ويجعل القرار لامركزيًّا، والخدمة سريعة، وبأقل تكلفة. كيف إذن، ننتمي إلى الزمن التكنولوجي بدون الانتماء إلى منطق خدماته؟

وهل تستطيع أزمة كورونا أن تُعجل بتطبيق الإدارة الإلكترونية باعتبارها استراتيجية تنموية وليس مجرد تدبير لأزمة وباء؟

الأدب/القراءة والتكنولوجيا

1.الأدب والرقميات

إنّ الحديث عن علاقة الأدب بالتكنولوجيا هو تفكيرٌ في الحقيقة الأدبية الجديدة. كيف يختزن الأدب تمثلات الإنسان وهو يُقيم في التكنولوجيا، وكيف تُنتج القراءة الرقمية من هذه التمثلات إدراكات الإنسان زمن التكنولوجيا الحديثة. يُلازمُ الأدب باعتباره عالما من الرموز والتمثلات والتشخيصات الإنسان في انتقالاته التاريخية والعلمية والثقافية. عندما نُعيد قراءة نظرية الأدب، حيث مسار تاريخ الأدب الذي يتجلى طروحات وتصورات ونظريات وتيارات فكرية، فإننا نقترب من تاريخ التمثلات، ومن ثمة، من مفهوم إدراك الإنسان لذاته وللعالم وللأشياء.

يتغير الإنسان عندما ينخرط في النظام التكنولوجي. يبدأ التغيير من نظرته لذاته وللأشياء من حوله. يعني، تتراجع تمثلاته التي تُصبح تقليدية، وتحل محلها تمثلات وأفكار جديدة. ينعكس ذلك على مفهومه للإدراك. العالمُ مُدركٌ بنوعية التمثلات التي يُركبها الفرد في علاقة مع واقعه، ومواد ووسائط هذا الواقع. واليوم "نحن نعيش في عالم أصبحت فيه المحاكاة والتقليد أكثر واقعية من الواقع نفسه، نحن نعيش في عالم "الواقعية المفرطة" [1].

إنّ العالم الذي نعيش فيه اليوم مُتخمٌ بالصور والعلامات والأيقونات والرموز والعروض والمشاهد. وأنت سائرٌ في الطريق، ماشيًا أو راكبًا سيارة أو حافلة أو قطارًا، لا ترى إلا صور إعلانات تجارية أو اقتصادية أو إعلانات مدارس أو معاهد، أو إعلانات فنية وثقافية. تنتقل الصور من الحالة الثابتة إلى الحركة؛ يتحول الشارع إلى عروض فنية ومشاهد مسرحية، تضع أفراد المجتمعات أمام حيوات وشخصيات وقصص، ويكون الفرد فيها هو المقصود بسيناريو العرض. يُصبح فعل المُشاهدة حاضرا بقوة في الحياة اليومية. بل لم تسلم

1 *Hubert Guillaud:Une société de simulation*
http://www.internetactu.net/2013/10/02/une-societe-de-simulation

الحافلات وسيارات الأجرة والقطارات من ارتداء صور الإعلانات، بل حتى الإنسان نفسه تحول إلى وسيط إعلاني، مثل الرياضيين والفنانين وغيرهم. الشارع يتحرك بالصور، بل تُحركه الصور، حتى الأسوار القادمة من أزمنة تاريخية قديمة، ترتدي –بدورها-الصور، فتبدو شكلاً غريبًا، إذ يلتقي اللون الترابي المُتخم بتاريخيته بأشكال وألوان صور قادمة من زمن التكنولوجيا. تحولت المدن بشوارعها، ووسائل النقل فيها، وواجهات محلاتها إلى عروض ملونة من الصور التي تتحرك بحركة الإنسان. أصبحت هذه العروض مشهدا مألوفا للعين، بل –أحيانا-عندما يتمّ سحب إعلانٍ من حائطٍ، أو حافلة أو قطارٍ، ترتبكُ العينُ أمام عُري الحائط أو؛ لأن الفراغ من الصور يُحدث أزمة في النظر، يعني في المألوف. لكن، إذا كنت أنت الذي تذهب إلى الصور، عندما تُقرر الخروج من بيتك، وتختار شارعًا، أو وسيلة نقلٍ، فإنّ الصور والعروض والمشاهد هي التي تأتي إليك عندما تدخل عالم الإنترنت. بين العالم الواقعي والعالم الافتراضيّ يُقيم الإنسان، ويعيش حياة مختلفة، بتمثلات جديدة، وإدراكات مختلفة. "فالعرض ليس مجموعة من الصور، بل علاقة اجتماعية بين أشخاص بوساطة الصور"[1].

فهل ما تراه العين من صور وعروض ومشاهد يُمثل حقيقة تمثلاتها؟ وهل ما تراه العين بقوة ممارسةِ المشاهدةِ اليومية والتكنولوجية هو الحقيقة التي تصنع التمثلات؟ كيف تبدو هذه التمثلات والتشخيصات؟ ما هي الأبنية الحاضنة لها؟ وهل تتحول الأبنية نفسها إلى تمثلٍ فلسفي لمعنى الإدراك؟

تُشكل علاقة الكتابة الأدبية بالتكنولوجيا محور هذه التساؤلات. ذلك؛ لأن التعبير من خلال وسيط جديد، من شأنه أن يُنتج معنى بهذا الذي يحدث فينا وحولنا.

1.1 الأدب الرقمي بنية التمثلات الجديدة

تحضر علاقة الأدب بالرقميات من خلال تسميات عديدة، أو على الأقل بدأت بتعيينات ارتبطت بطبيعة البرنامج الذي اعتمدته الكتابة في البداية مثل الأدب التشعبي، والترابطي،

1Guy Debord: La société du spectacle, p10.

والشبكي، وأدب الشاشة ثم الإلكتروني والتكنولوجي والتفاعلي فالرقمي. كما لا نلتقي بتحديد مُتفق عليه بطريقة علمية، مما جعل هذا الأدب يخضع لتعاريف عديدة، غير أنها تلتقي –في النهاية-عند هذه العلاقة الجديدة التي تربط الأدب بالتكنولوجيا الحديثة، أو بتعبير قد يبدو بسيطًا، الكتابة عبر وسائط التكنولوجيا، كما كانت- وما تزال-الكتابة بالوسيط الورقي. مع ذلك، تظلّ تحديات كبيرة تُحيط بمفهوم هذا الأدب، ولعل أهمها يتجلى في دور الآلة في الكتابة، وعلاقتها بالمؤلِف، وهل الآلة مُنتجة للكتابة،أم مُسيرة من قبل المؤلف؟ وإلى أي حدّ يكتب المؤلف ويتحكم في كتابته؟ وهل للآلة وصاية على المؤلف من باب طبيعة البرنامج الذي اختاره المؤلف لكتابته؟ وهل وجود آلة ولغات الكومبيوتر تُحدث انزياحًا عن سلطة المؤلف؟ لقد طرحت الناقدة الرقمية الأمريكية "كاثرين ن. هايلز" الأسئلة نفسها – تقريبا-وهي تحاول أن تفكر في "النصوص الأدبية كتجمعات إدراكية" من خلال الأسئلة التالية: "كيف يتوزع الإبداع بين المؤلف والحاسوب؟ أين تكمن سلسلة التحكم؟ ومَنْ (أو ما) الطرف المتحكم خلال مواضع مختلفة؟ أي أنواع الاختيارات/ الخيارات ينجزها النظام الحاسوبي؟ وأي أنواع من الاختيارات/الخيارات يشفرها المؤلفون البشر؟ أي دور تلعبه العشوائية في الكتابة؟ هل تظهر الغاية الرئيسة للمشروع الفني على الشاشة، أم أنها تكمن مع الشفرة؟[1].

لا نشكّ في استمرار المؤلف في الكتابة، لكن "يمكن الحديث هنا عن مفهوم تعديل موقع المؤلف، ووضعيته ووظيفته. ويمكن ملاحظة مظاهر هذا التعديل ابتداء من التعامل مع تعبير "المؤلف" عوض الكاتب أو المنتج. ذلك لأنه يُؤلِف بين مجموعة من العلامات والإمكانيات الكثيرة والمتعددة"[2].

تتعمق التحديات بتطور مفهوم الآلة الذكية مع الذكاء الاصطناعي. إنها تحديات ربما بدأت عبارة عن أسئلة حول حدود اشتغال الآلة بالنسبة للكتابة، لكنها باتت تُشكل قضايا جوهرية في الوضعية الجديدة للأدب اليوم. "فالأدب الرقمي هو مكان لقاء حقيقي بين الأسئلة المتجذرة في التاريخ الأدبي، وبين التأملات في مفهوم النص والآخرين على الاستخدام

1كاترين ن. هايلز: النصوص الأدبية كتجمعات إدراكية: الأدب الإلكتروني نموذجا، ص117.
2كرام، زهور: الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ص36.

والخيال التكنولوجي"[1]. وبالتالي، فإن الأمر لا يتعلق بمجرد استخدام لتقنيات التكنولوجيا، ووضع الكتابة في حُلة مُدهشة ومُبهرة، إنما الأمر كما عبر عن ذلك الباحث الرقمي الفرنسي "فليب بوتز" "يكشف قبل كل شيء عن عالم تكنولوجي يسكنه البشر"[2].

لهذا، فإن التعبير عن طبيعة الوجود الإنساني بالتكنولوجيا بوسائل التكنولوجيا نفسها ما يزال يثير إشكالية مفهوم "الأدب الرقمي"، وعلاقته بالأدب المألوف في صيغته الورقية، وهل يُشكل الأدب الجديد قطيعة أم استمرارية في مسار تطور الأدب.

يعرف التفكير حول هذا الموضوع أشكالاً من التحليل، بعضها يُحافظ على سلطة الإنسان على الآلة، وتحكم المؤلف في كتابته، مع استثمار الآلة باعتبارها أداة معرفية من أجل ترويض العالم التكنولوجي، كما يذهب إلى ذلك فليب بوتز بقوله "الأدب الرقمي ليس بأي حال من الأحوال أدبًا للآلات، ولكنه بالأحرى مشروع مفيد لحيازة الإنسان للآلة. يصنع الإنسان من خلال ذلك، خيالًا تكنولوجيًا في صورته من أجل ترويض هذا العالم الرقمي الذي ينفتح لنا بشكل أفضل؛ الآلة ليست أكثر أو أقل من أداة، وعلى هذا النحو، تجعل من الممكن تحقيق ما لا يستطيع جسدنا القيام به وحده. هذه الأداة هي قبل كل شيء أداة معرفية، فهي تضاعف إمكانيات دماغنا بالطبع، لكنها لا تحلّ محلّها"[3]. فيما يذهب البعض الآخر في تحليلٍ أكثر انتصارا للآلة، أو بتعبير أدق، أكثر اهتمامًا بفعالية الحاسوب في عملية الكتابة، من وجهة نظره بجعلها تمتلك سلطة تصريف الكتابة، والتحكم في برمجتها وفي نظامها، كما تذهب إلى ذلك الناقدة "هايلز" بجعلها الحاسوب "يعرف بُنى البيانات والإجراءات النحوية التي تحسم في اختيار نوع فئة الكلمة، ويعرف إعدادات العرض المعينة في الشفرة (...) ويعرف الوتيرة التي ينبغي للكلمات أن تتحرك عبرها إلى أسفل الشاشة"[4]. يدخل هذا النقاش في صميم الجدال الفلسفي حول وضعية الذكاء الاصطناعي، وهل يُحاكي هذا الذكاء الإنسان في مهاراته أم في إدراكه وفهمه، وبالتالي، سيظل نقاشا مفتوحا على

1Philippe Bootz: Chapitre VI. La littérature numérique en quelques repères
https://books.openedition.org/pressesenssib/1095?lang=fr

2المرجع نفسه.

3المرجع نفسه.

4كاترين ن. هايلز: النصوص الأدبية كتجمعات إدراكية: الأدب الإلكتروني نموذجا، ص119.

منجزات الذكاء الاصطناعي وتحدياته للعقل الإنساني. وعليه، فإن تناول موضوع الأدب الرقمي من مدخل الحقيقة الأدبية الجديدة قد يكون أجدر بالتفكير، نظرا لكونها إمكانية مفتوحة على الدرس النقدي والقراءة الأدبية، إلى جانب مُرافقة المتخيل الإنساني وهو يتجلى عبر الوسيط التكنولوجي، إضافة إلى مسؤولية المعرفة الأدبية في دراسة الظواهر الجديدة للأدب، وتحليل خطاباتها، ودراسة موقعها في تاريخ الأدب. ولعل مهمة الاقتراب من الأدب الرقمي تبدو معقدة، لكونها لا ترتبط فقط بتجلي الأدب على الشاشة، والنظر في تحولات مظهره، إنما ما يُحدثه هذا الأدب الجديد والمُختلف في مفهوم الأدب. إنه يُغير السؤال الأدبي[1]، ويُعيد طرح مفهوم "الخيال" من جديد، ويدفع بالسؤال المعرفي للبحث في "الوضع الاستثنائي" للأدب[2]، وهوية التفرد التي يأخذها الأدب وهو يتجلى رقميا.

2.1 الأدب الرقمي أو المتخيل الإنساني رقميّا

تعود علاقة الأدب بالآلة إلى وقت مبكر، مع بداية الخمسينيات من القرن العشرين، من خلال مفهوم " شاعر-الروبوت"، روبو قادر على تصميم الشعر. كما توجد دراسات تجعل للشعر الرقمي بدايات منذ بداية القرن العشرين أو قبلها، خاصة مع تيارات مثل المستقبلية والدادائية وهي اتجاهات خرقت نظام الأدب ومفهومه، وخرجت عن المألوف في الكتابة والتلقي والذوق وجمال الكتابة، وكسرت قواعد الكتابة واللغة، واقترحت نظاما مغايرا للنص. شكلت تجارب هذه الاتجاهات نوعا من التمرد على مفهوم الكتابة[3].

كما عرفت بداية الستينيات ظهور التجربة البصرية للشعر، مع "فيديو الشعر"، التي أصبح معها الفيديو هو حامل /وسيط الشعر، وظهرت التجربة مع الشاعر البرتغالي مانويل

1اشتغلنا على موضوع السؤال الأدبي الجديد مع الأدب الرقمي بتفصيل في كتابنا الجديد، الذي سيصدر قبل نهاية 2020، بعنوان: "المعرفة الأدبية ومنطق الترابطي".

2مفهوم "الوضع الاستثنائي" للأدب استعمله الباحث الفرنسي **Jean** BESSIÈRE

3للاقتراب أكثر من طبيعة التيارات التي خرقت نظام الكتابة الأدبية، وشكلت مرجعية ثقافية للنص الرقمي، نقترح الرجوع إلى الكتاب التالي:

Marc Morereau, La poésie numériqueSciences de l'Homme et Société, pp7-9.

جيرالديس دي ميلو إي كاسترو الذي اخترع هذا النوع من الشعر بواسطة شريط الفيديو عام 1986[1].

طرحت فكرة هذه التجربة سؤالاً جوهريًّا حول المبدع الحقيقي لهذا الشعر: هل المؤلف، أم مصمم البرنامج، أم الآلة؟ وهل تعبير الشاعر يتحقق برمجيًّا بالإحساس نفسه؟ وكيف يمكن التحقق من احتفاظ اللغة بشعريتها، إذا كانت جميع الوسائط مُشفرة بطريقة ثنائية بجهاز الحاسوب؟ وكيف يمكن الحديث عن مميزات قصيدة شعرية عن أخرى، إذا كان البرنامج المعلوماتي لا يعرف الصور والأصوات واللغة، لأنه لا يفهم إلا لغة معينة تتكون من الرقمين (0، 1) فقط، ولا يستعمل إلا هذه اللغة التي تخصه؟ هل تستطيع لغة الحاسوب أن تُعالج لغة الشعر؟ وكيف تستطيع هذه اللغة أن تُحقق الاختلاف المُميِز بين قصائد شعراء، أو حتى بين قصائد شاعرٍ واحد؟ هل تُغادر لغة الشعر المنزاحة عن لغة التواصل اليومي-الواقعي لترتمي في لغة الأرقام والبرمجة والشفرة؟

يتولد عن هذا السؤال موضوع القراءة، وهل ما تزال مرتبطة بالقارئ ضمن شروط القراءة المألوفة؟ أم أنَّ القارئ ينزاح عن تلك الشروط، ويُغادر موقعه التقليدي؟ وهل من الضروري انتقال القارئ إلى مُعالج بيانات رقمية؟ ما هي مهمة القارئ الرقمي؟ هل سيحتاج النقد الأدبي/الشعري إلى خلفية تكنولوجية بجانب خلفية نظرية الأدب والشعر؟

لا شكّ أنّها أسئلة تبدو مختلفة عن أسئلة الشعر والأدب بشكل عام، تلك التي نلتقي بها في محطات نظرية الأدب. غير أنّ اختلاف هذه الأسئلة وطبيعتها يعبران عن كون الأدب – بصفة عامة-ينتقل إلى حالة ثقافية جديدة، تُعبر عن تحولات جوهرية في العلاقة بين المبدع وإبداعه. إنّها حالة مختلفة في تشخيص تمثلات الإنسان لذاته وللعالم من حوله.

تأسيسًا على فكرة "الشاعر-الروبو" يجدر بنا أن نُؤكد على الخاصية الرقمية في تحقق هذا الأدب. نقصد بالأدب الرقمي "أي شكل سردي أو شعري يستخدم جهاز الحوسبة كوسيط وينفذ خاصية أو أكثر من الخصائص الخاصة بهذا الوسيط"[2]. ليس كل ما يُكتب

1يمكن فتح الرابط التالي، للاقتراب من تجربة هذا الشعر:

https://www.youtube.com/watch?v=yC3e7rmSYM4

2*Philippe Bootz*: https://books.openedition.org/pressesenssib/1095?lang=fr

على شاشة الكومبيوتر، أو يتم تحميله على الشبكة يُعتبر أدبا رقميًّا. إن كثيرا من الأعمال الأدبية الورقية تم تحميلها على شبكة النت بواسطة صيغ مكتوبة (PDF مثلا) أو صوتية، وتظل محافظة على نظامها البنائي، مع تغييرات بسيطة تمس بالأساس حركية النص، وانفتاحه على التفاعل المباشر مع القارئ الذي قد يستطيع أن يترك تعليقًا، إذا ما وفرت النسخة الإلكترونية خاصية التفاعل، كما تسمح هذه الصيغة بإعادة طبع النص، أو تقاسمه مع آخرين. بمعنى، أنّ هذا النوع من الأدب الذي وُلِد خارج منطق التكنولوجيا وبرامجها وشفراتها، وتحكمت في بنائه شروط الورق والطباعة، ونوعية القراءة المُفترضة، وتقاليد الكتابة، فإنه يستطيع أن يستثمر خدمات التكنولوجيا، وينتقل إلى فضاء الشاشة، ويأخذ صفة الحركة، ويقترب أكثر من القراء، لكن ذلك لا يجعل منه "أدبًا رقميا"، ويمكن الإشارة إليه بالأدب الإلكتروني، مع ملاحظة أنّنا نلتقي في التجربة الأمريكية باستعمال الإلكتروني لكل أشكال الأدب الرقمي. مع ذلك، فإنّ التمييز بين النوعين الرقمي والإلكتروني يُعتبر ضرورة منهجية لتحديد المقصود بالأدب الرقمي الذي يعتبر فتحًا جديدًا على الخيال على حدّ تعبير الباحث الرقمي الفرنسي "فليب بوتز".

تتغير الكتابة مع الأدب الرقمي. تدخل مفاهيم وأفعال جديدة إلى منطقة الكتابة. قد لا تعد أفعالاً جديدة في وجودها، إنما في استخدامها السياقي الجديد. فالكتابة الرقمية تتحول إلى مجموعة من الأفعال مثل الكتابة بمفهومها التقليدي في نمط الكتابة الورقية، إضافة إلى مفاهيم مثل المعالجة ذات علاقة بالبرنامج المعلوماتي الذي تتحقق بواسطته الكتابة رقميًّا، ومفهوم العرض والمشهد، والمشاهدة التي تُرافق الحركة النصية، والرسم والموسيقى والصورة. وبالتالي، فإنّ فعل الكتابة تحول إلى مجموعة من الأفعال التي يتحكم فيها البرنامج المعلوماتي، مما يُؤثر في القراءة التي تُصبح مُطالبة باستخدام الأفعال نفسها، وإلا لن يتحقق الأدب رقميًّا.

إنَّ أيَّ دخولٍ إلى الأدب الرقمي بثقافة الأدب التقليدي المطبوع من شأنه أن يُربك عملية الدخول، مما قد يُسبب رفض هذا الأدب. الأدب الرقمي وقراءته تجربة ثقافية ونفسية واجتماعية ومعرفية جديدة ومختلفة، لهذا نتحدث عن مفهوم التفاعل باعتباره خاصية مميزة للمصنفات الرقمية في هذا الأدب؛ لأنّ الأمر مرتبط بتجربة جديدة يدخلها الكاتب

والقارئ معًا، وبموجبها تتغير مواقعهما، وينتقلان من متحكمين في تحقيق النص، إلى شركاء ضمن مجموعة من العناصر المتحكمة في إعطاء النص ولادته الأدبية[1].

تدخل الرقميات إذن، إلى مجال التعبير الأدبي، وتجعل الممارسة الأدبية الرقمية تُسائل الكتابة والقراءة، وتُعيد طرح مفهوم الأدب ودوره في حياة الإنسان والمجتمعات، وتسمح بتنوير الطريق نحو الذات الإنسانية وهي تأخذ مسارًا معرفيًّا جديدا مع مفهوم التفردية La singularité

2. من الرقمي إلى الورقي

كلّما ظهر شكل أدبي جديد، وخرج عن المألوف، والتعاقدات النقدية، وحمل في صيغته نظاما مختلفا عن النظام الذي ألِفته القراءة، إلا وانقسمت الآراء حوله، بين مؤيد ومعارض. أدت حالة المعارضة/القبول -في كثير من الأحيان-إلى خلق نوع من القطيعة بين الموقفين، وإلى جعل الحوار المُباشر حول الشكل، ينزاح إلى حوار حول فكرتي التأييد، والمعارضة. وبالنظر إلى طبيعة ثنائية "مع/ضد"، وطريقة اشتغالها، سنلاحظ تركيزها على الذات المُفكرة في الشكل الأدبي، أكثر من التركيز على الموضوع الأساسي/الشكل الأدبي الجديد. كما "قد" تأتي هذه الثنائية مُشبعة بقرارات معرفية مسبقة، وجاهزة، مما يجعل منها مُقاربة غير مُنتجة للموضوع. لذا، يمكن التفكير في الموضوع الأدبي/المعرفي خارج هذه الثنائية، من أجل الاقتراب أكثر من الموضوع، وعدم الانحراف عن سؤاله، إلى مواضيع أخرى. عندما بدأ الحديث عن "الأدب الرقمي" في الثقافة العربية، استقبلت ثنائية مع/ضد هذا الشكل الأدبي الجديد بقوة، وعمَّقت المسافة بين عنصري الثنائية، بدعم كبير من وضعية التكنولوجيا في الممارسة العربية. وقد أنتجت هذه الثنائية بعض اللبس في طبيعة التعامل مع الأدب وهو يتحول، ويتحقق وفق مظاهر جديدة ومختلفة؛ إذ غاب النقاش عن الأدب، وحلَّ التجاذب بين المعارضين والمؤيدين، وأخذ الأمر طابع الدفاع عن موقف ورأي وموقع تاريخي، أنتج

1لتوضيح الفكرة أكثر، والتعرف على المفهوم الجديد للمؤلف والقارئ، يمكن الرجوع إلى كتابنا: الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، من ص34 إلى ص45.

خطابًا مُرتبكا وتصنيفيا، جاعلا من كل مُنتصر للكتابة الرقمية، ضد تاريخ الأدب، وكل مدافع عن الكتابة بالوسيط الورقي، ضدّ مستقبل الأدب. وبقي الأدب في تجليه الجديد مع الوسيط التكنولوجي بعيدا-إلى حدّ ما– عن التحليل، وتمثل منطقه، وفي الوقت نفسه، ظلّ الأدب بتجليه الورقي –في كثير من تجاربه-بعيدًا عن التطور في التفكير، نظرًا إلى كون المعرفة الأدبية توجد-باستمرار-في حالة التكون والتطور، بفضل المستجدات التي تعرفها حركية الكتابة الأدبية، والتي لا تقترح-فقط-أشكالاً وأساليب جديدة في الكتابة، بل تعمل على خلق وعي بطبيعة الكتابة الأدبية. ولهذا، ما نزال ننتج دلالات جديدة من الشعر العربي القديم، وما يزال الاقتراب من القصيدة القديمة اقترابًا من تمثلات وتصورات، تظهر مع كل منهج جديد، ورؤية نقدية مختلفة، وما يزال التراث السردي العربي بكل تنويعاته وأشكاله، يطرح نفسه مجالاً رمزيًّا وثقافيا خصبا، يتجدد خطابه مع كل مقاربة جديدة، ونتجدد نحن أيضا مع كل اقتراب جديد له، وفي الوقت نفسه، يصبح التراث الرمزي مكونًا ثقافيًّا للحاضر الرمزي. هكذا، تتلاقح الآداب، وتتغذى من تفاعلها مع بعضها. عندما لا يستحضر التفكير النقدي هذا البعد التفاعلي بين حاضر الأدب ومستجداته، فإنّه يسهم في تعميق ثنائية مع/ضد، والتي تُحول النقاش من الموضوع الأساسي، الأدب، إلى نقاش إيديولوجي، يسعى إلى تصنيف كل رأي/موقف ضمن خانة تصنيفية. وعلى الرغم من كون الموقفين معا، يُعمقان الهوة بينهما، ويجعلان الحوار فيما بينهما، إمكانية غير ممكنة التحقق، إلا أنهما يلتقيان في كونهما يشتغلان خارج منطق حركة التاريخ؛ إذ نجد المُدافع عن الكتابة الرقمية، يعلن الانتهاء الكلي للورقي، وكأن أجرأة الرقمي تؤدي بشكل مباشر إلى تلاشي الورقي، ومن ينتصر للورقي، يرفض أن يتجلى الأدب رقميا، يُعطل الموقفان معا حركية التاريخ، حين يرفضان مفاهيم التحول، والتطور والاستمرار في نظام الأدب.

من أجل تجاوز الثغرة المعرفية الناتجة عن ثنائية مع/ضد في التعامل مع الكتابة الرقمية، التي تُعطل تمثل تحولات حالة الكتابة/الأدب مع الوسيط التكنولوجي، يمكن اقتراح مقاربة تبحث في العلاقة الوظيفية بين حاضر الأدب/الكتابة (الشكل الورقي) ومستقبل الأدب/الكتابة (الشكل الرقمي)، ومدى قدرة كل شكل (ورقي/ رقمي) على إنتاج الوعي بالشكل الآخر، والمساهمة في تحليل نظامه، وإدراك طبيعة اختلافه عن السائد

والمألوف في نظام الكتابة. وإذا كانت عملية الوعي المعرفي بالأدب الرقمي، تبدأ –في غالب الأحيان– من مرجعية الكتابة الورقية، باعتبارها منجزا متكاملا من حيث النظام والمنطق والتلقي، ويفرض بذلك، زمن سبقها التاريخي، أنْ تكون خلفية أسلوبية وفنية ومعرفية للوعي بالأدب الرقمي، وبنظامه، فإنّ الكتابة الرقمية، يمكن أن تتحول –بدورها-إلى مرجع أدبي للوعي بالمستجدات التي لحقت/تلحق الكتابة الأدبية بالوسيط الورقي. وفي هذا المستوى من التفاعل، نستطيع أن نردم الهوة التي تنتجها ثنائية مع/ضدّ.

إنّ الإدراك الجديد الذي يُحدثه النص الأدبي في التجلي الرقمي، يمكن أنْ يساعدنا على إعادة الاقتراب من النص الأدبي في تجليه الورقي، خاصة مع تجربة بعض النصوص التجريبية، التي أثارت بكتابتها، وطبيعة خطابها سؤال الاقتراب منها، وشكّلت زمن ظهورها إشكالية القراءة، نظرا إلى كونها تأتي خارج التعاقد النقدي المألوف، والذي أسس لميثاق انتظار القارئ. تحضر كثير من النصوص السردية رواية وقصة وفق تركيبة الضفيرة التي تجعل الحكاية متداخلة فيما بينها، حيث إمكانية قراءة الحكاية نفسها بصيغ متعددة، مثلما وجدنا مع رواية "فرنكشتاين في بغداد" للكاتب العراقي "أحمد سعداوي" (2013)، وذلك عبر تعدد الوسائط السردية (شفهي، مكتوب، تقني، صوتي، مشهدي..)، ونجد هذا المظهر في القصة القصيرة، كما في قصة "الزجاجة (مساهمة في تدمير الإيقاع)، من المجموعة القصصية "اعتقال الغابة في زجاجة" (2009)، للكاتب المغربي "أنيس الرافعي"، حيث إمكانية قراءة القصة نفسها بصيغتين مختلفتين. فتركيبة خطاب القصة، تمنح الانطباع بإمكانيات متعددة لبناء القصة الواحدة، كما نلتقي في المجموعة القصصية نفسها، بإحدى الصيغ التي تُميَز النص الرقمي، وهي صيغة "لا اكتمال الحكاية"، والتي تعين قصص القسم الثاني من مجموعة "اعتقال الغابة في زجاجة". ولعلّ من بين أهم تجليات تقنية الضفيرة، اعتماد مظهر "اللامرئي" والذي يسمح بانتشار الخطاب الترابطي، شريطة وجود قارئ ترابطي، لديه القدرة على تفعيل "اللامرئي"، وقراءته/كتابته، نلتقي بهذا المظهر في كلّ من رواية "فرنكشتاين في بغداد"، ومجموعة أنيس الرافعي، نظرًا إلى اعتمادها على الصورة والصوت باعتبارهما لغة السرد، والحكي وإنجاز الحكاية/الحكايات. يتحقق نمو الحكاية في تجربتي النصين (الرواية،القصة) من قدرتهما على كتابة اللامرئي، عبر العلاقة التداخلية بين النص

المكتوب والنص-الصورة. يظهر ذلك بوضوح في "اعتقال الغابة..." التي تعين في نهايات قصصها المرجع البصري (شريط سينمائي) وليس المرجع الورقي، وتعاملها مع الشريط السينمائي باعتباره خلفية بصرية وفنية وثقافية وجمالية للنص القصصي، وضع يحفز الفضول لدى كلّ قارئ، إما بإعادة مشاهدة الشريط في حال مشاهدة سابقة، أو الحرص على مشاهدة الشريط، قصد التعرف على نوع اللقاء بين القصة والشريط. ولعلّها لعبة فنية، تُدخل الكتابة القصصية في لعبة التجريب بين الحكي بالكتابة والحكي بالصورة. وعبر هذا التجريب يمكن للقارئ أن يشكل بناء جديدا للنص المقروء، باعتماد خياره في العودة إلى الشريط، أو الاستغناء عنه، وهو بهذا الإنجاز -حسب قراراته-فإنه يجعل القصة التي أمامه، تأخذ أشكالاً جديدة من التكوّن. ولهذا، فكل مقترب من نصوص المجموعة القصصية معتمدًا على المفاهيم السابقة في تناول القصة القصيرة، وقراءتها، والتعامل معها نقديًّا، فلا شكّ أنه مصدوم، مما يحتم عليه الوضع، إما أن يعيد النظر في الجهاز المفهومي النقدي حول الأدب، والقصة القصيرة، أو يتقبل الصدمة، ويتراجع عن قراءة النصوص.

كثيرة هي النصوص الروائية والقصصية التي ظهرت مع زمن التجريب، واعتمدت نظاما مُخالفًا في خطابها، فكان الاقتراب منها نقديًّا صعبًا، بحكم إكراهات التواصل بالجهاز المفاهيمي المألوف، فضاعت، وضاع معها تجديد التفكير النقدي، لكن، العودة إليها من داخل تجربة الوعي بخطاب الأدب الرقمي، أصبحت ممكنة، ومنتجة للسفر نحوها، بدون إكراهات التواصل[1].

3. التربية على ثقافة التفاعل: أدب الأطفال نموذجًا

إذا كان زمن النهضة في التجربة العربية ظلّ سؤالاً للتجاذب الفكري، وشكل الجواب عنه، اختلافات في الخيارات السياسية، وإذا كان مشروع الحداثة قد استهلكه التنظير، وبقي خارج التفعيل، وتحويله إلى سلوك اجتماعي وسياسي، ومعاملات اقتصادية، مما عمق

1قمنا بتحليل هذا الموضوع وتحليل النصوص نفسها في كتابنا الذي سيصدر هذه السنة 2020 بعنوان: المعرفة الأدبية ومنطق الترابطي.

الهوة بين الحداثة باعتبارها مشروعًا مُفكرا فيه، والحداثة باعتبارها واقعًا مُلتبسا، فإن التفكير في منطق الزمن التكنولوجي يختلف بنيويًّا عن منطق الزمن الصناعي الذي جاء مع النهضة والحداثة. ولعل تمثل الفرق بين الزمنين، يسمح لنا بالاقتراب من تمثل مفاهيم الزمن الجديد، بمنطق مختلف، ومعجم جديد، وأسئلة مختلفة. ولنبدأ بعملية قد تبدو بسيطة، لكنّها عميقة، إذا ما قمنا بإعادة ترتيب علاقتنا بالمعرفة والفهم والتعلَم.

مع الزمن الصناعي، كان الفهم يحتاج إلى تكوين قبلي. بمعنى، من أجل استعمال الآلة كان على المُسْتعْمِلِ أن يأخذ تكوينًا في طريقة الاستعمال، وأن يُجرّب الاستعمال؛ أي، أنّ الفهم يتمّ عبر التكوين والتجريب والتطبيق من أجل قياس الفهم. مع الزمن التكنولوجي، فإنّ الوضع يختلف إلى حدّ ما. ذلك، لأنّ التقنية جعلت الإنسان ينتقل مباشرة إلى الاستعمال-في غالب الأحيان-ويتوازى فعلان اثنان في التحقق، وهما فعل الاستعمال وهو الأول، ثم فعل الفهم وهو الثاني. غير أنّ الفهم لا يطرح نفسه باعتباره حاجة مُلحة، وضرورة تقنية؛ ذلك لأنّ فعل الاستعمال السريع، بات يُخفي ملامح فعل الفهم، الذي أصبح ضمنيًّا، لم يتلاش، ولم يُتراجع عنه، إنّما، لم يعد حالة مُفكرًا فيها، لكون الفهم تداخل مع الاستعمال، بفعل طبيعة التقنية التكنولوجية التي باتت تسمح بالاستعمال المتزامن مع التعلم والفهم. هذه الإمكانية خلقت نوعًا من الديمقراطية في التعلم. يكفي أنْ تشتري مثلاً جهازًا ذكيا؛ لكي يعرض الجهاز أمامك مجموعة من الخيارات التي تأتي على صيغة تطبيقات، عندما تتبع التعليمات فإنك تجد نفسك وقد بدأت الاستعمال الذاتي، دون الحاجة إلى وسيط للتعلم والفهم. قد تبدو، أيضا هذه المسألة طبيعة، بحكم وضعية التكنولوجيا، ولكن الأمر يأخذنا أبعد من ذلك، عندما يجعلنا نُعيد التفكير في طبيعة عقلنة الأشياء.

لكن، إذا كان التعلم يأتي متوازيًا مع الاستعمال، فإنَّ ذلك يحمل معه مقصدية، تتجلى بعض مظاهرها، في إتاحة الفرصة للفرد لكي يفعل في واقعه وعالمه بسرعة. نتحدث هنا عن مفهوم "تدبير الزمن". تشكّل هذه المفاهيم والتصورات من بين محدّدات منطق التكنولوجيا، ولذلك، تتطلب تمثلاً ثقافيًّا ومعرفيا، من أجل استعمال وظيفي. وبالعودة إلى أسئلة التفاعل مع مفهومي "الديمقراطية الجديدة" و"الطبقة الافتراضية"، فإنّ الأمر يحتاج إلى تخطيط واستراتيجية، وفق رؤية تشتغل على بناء الفرد المؤهل لكي يشكل هذه الطبقة، ويُنجز هذه

الديمقراطية. وعليه، يتطلب الأمر، تهيئة مناخ تخصيب سياق هذه الديمقراطية، وكذا الفاعلين فيها. ولعلّ من أهم برامج هذا التخطيط، الاهتمام بالطفل قبل كل شيء، من خلال منظومة تعليمية وتربوية تعتمد منطق التفاعل في التكوين والتعليم، مع ضرورة اهتمام المشتغلين بالأدب، وبالأخص بأدب الطفل، بالكتابة الأدبية التفاعلية الموجهة إلى الطفل.

تسمح الكتابة التفاعلية للطفل/اليافع بالتدرب في سنّ مبكرة، على مواجهة الخيارات المتعددة والمتنوعة، وأخذ مبادرة الاختيار، وإعادة بناء الحكاية باللون أو اللغة أو الصورة أو الأشكال. يخرج الطفل من تجربة هذا التفاعل، بإمكانيات، مع تطورها، تُصبح خاصية تميز شخصيته، منها الاكتشاف الذي يعد في تصور السوسيولوجي الأمريكي، ورائد تاريخ تكنولوجيا المعلومات الباحث "تيد نلسون" Ted Nelson أساس النص الترابطي، المبني على فكرة اكتشاف ما وراء الرابط، عكس الكاتب الأمريكي "بوش فنيفار" Vannevar Bush الذي جعل أساس معنى النص في الانتقاء وليس الإبحار، إضافة إلى الملاحظة، والتجريب، والمشاهدة، والتركيب، وقبل هذا تُصبح للطفل – مع تكرار تجربة التفاعل-القدرة على اتخاذ قرار الاختيار، ومرافقة هذا القرار في إعادة البناء. تُعبر كل هذه المراحل من التكوين عن مسار تكون ثقافة التفاعل المُنتج لدى الطفل، والتي ستحدد شخصيته مستقبلاً، وتكون عاملا مُساعدًا على قدرته على الانخراط في الحياة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، بالموقف والقرار، والانتقاء والاختيار.

إذا كان أدب الطفل في وضعيته الورقية، لا يشكل -إلى حدّ ما-اهتمامًا كبيرًا من قبل الكتاب، ولا نلقى تراكمًا مهمًّا، على الرغم من الإغراءات التي تقترحها بعض الجوائز العربية، لتحفيز الكتابة إلى الطفل، وتنظيم مؤتمرات ولقاءات للحديث عن أدب الطفل، وخصائصه، وأهميته في تطوير القدرات اللغوية والمعجمية والأسلوبية للطفل، وتوسيع مساحة خياله، وتمكينه من الصور والألوان والأشكال، وإذا كان الكتاب الأدبي الغربي يحضر بقوة في المقررات المدرسية، سواء بلغاته الفرنسية، أو الإنجليزية، أو عبر الترجمة، فإنّ التأخر في الانخراط في كتابة الأدب التفاعلي للطفل، سيشكل ثغرة بين واقع الطفل الذي ينمو اليوم في مناخ تكنولوجي، ويفتح عينيه على الوسائط واللعب الإلكترونية، وواقع التعليم/ الأدب

الذي لا يستجيب لوضعه الجديد. ولعلّ المفهوم الذي يُمنح للأدب التفاعلي للطفل في التعبير الفرنسي، "الأدب حيث أنت بطل"، يعبر ببلاغة عن المفهوم الجديد للطفل، والذي لم يعد مجرد ذاكرة تملأ بالمفردات والأساليب والمستويات اللغوية، والصور الخيالية، المُبرمجة مسبقًا، وفق منظومة جاهزة، إنما الطفل الذي تتشكل ذاكرته بالتوازي مع شخصيته المتفاعلة، والتي تملك قدرة إنجاز الاستقلالية عن الجاهز، والاختلاف عن المألوف.

لا يُقصد من هذه المُقاربة، بثّ نوعٍ من التشاؤم، في عدم إمكانية إنجاح التجربة الممكنة لـ"الديمقراطية الجديدة" عبر المواقع الاجتماعية، في الوضعيات الراهنة للمجتمعات العربية، وبالإمكانيات المتوفرة، ومن خلال طبيعة المستعملين لهذه المواقع، وعبر المفهوم المُسْتعمل للتفاعل، إنّما، القصد من العودة إلى الطفل، والتركيز على منظومة تعليمه، ونوعية الأدب الموجه إليه، هو التذكير بأهمية وضع استراتيجيات وبرامج تهتم بتكوين الفرد منذ طفولته، وذلك من أجل خلق أجيال قادرة على حسن تدبير ثقافة الزمن التكنولوجي، برؤية إيجابية، تخدم الإنسان والعالم.

يستطيع الفرد أن يشتري آخر صيحات التكنولوجيا، لكن لن يضمن انتماءه إلى الزمن التكنولوجي. تستطيع الدول أن تفتح أسواقها لآخر المنتجات التكنولوجية، لكن لن تستطيع أن تضمن تقدمًا حضاريًّا لمجتمعاتها، يستطيع أيّ فرد أنْ يتواجد كلّ دقيقة بالمواقع الاجتماعية، ويتقاسم المنشورات، ويعبر عن إعجابه، لكن لن يضمن حضورًا وظيفيًّا تفاعليًّا. مثلما حدث/يحدث مع الحداثة، يحدث مع التكنولوجيا.

الإعلام والتنمية والتكنولوجيا

1. الإعلام الرقمي والمواقع الاجتماعية: تحديات التدبير

ينتمي الإعلام الرقمي والمواقع الاجتماعية إلى منجزات الثورة الرقمية التي يعرفها العصر الحديث، وتُعتبر أهم تحول يجتازه الإنسان منذ فترة ما قبل التاريخ. يتعلق الأمر بنسق جديد، تتحكم في رؤيته الفلسفية المعلومة، ويُنتج إدراكًا جديدًا للعالم والأشياء والإنسان. فقد تحول كلّ شيء إلى خزان للمعلومة، وأصبحت المعلومة مادة ومفهومًا مُؤثرًا في حياة الإنسان، مثل الماء والتراب والهواء والنار. كما غيّر النسق الرقمي مفهومي الزمن والمكان. انعكس هذا الوضع على مفاهيم أخرى مثل الثقافة والتاريخ والعلم والإعلام والإبداع والفنّ.

1. المعلومة من المُنتِج إلى الشركاء في الإنتاج

سمح تعدد الوسائط التكنولوجية وتطورها بسيولة المعلومة، وجعلها مُتاحة أمام الكل بدون استثناء. لهذا، ظهر تعبير "دمقرطة المعلومة" مع انفتاح الأفراد والمجتمعات على المعلومة وفق إمكانات الوسائط التكنولوجية. ارتبطت سيولة المعلومة بمفهوم "الوفرة" الذي يجعل الفرد ينتقل من موقع الباحث عن المعلومة إلى موقع المُستقبِل لوفرتها. إنّه وضعٌ مُغاير، يطالبه بدور جديد، وفق العلاقة الجديدة مع المعلومة، ويُلزمه بالانتقال من مجرد مُستقبلٍ/ مُستهلكٍ إلى مُنتجٍ للمعرفة من المعلومة.

1.1 المعلومة والشركاء الجدد

أمام هذا الوضع الانتقالي في مستوى موقع الفرد الاجتماعي، نتساءل حول تمكين الفرد تربويًّا وتعليميًّا وثقافيا وسياسيا لهذا الموقع الجديد؟ وهل المنظومة التعليمية في التجارب العربية قد انتبهت مُبكرا إلى التحولات العلمية-التكنولوجية المُؤثرة في الحياة والعلاقات

والسياسة والاقتصاد والثقافة؟ وهل تبنت استراتيجيات بموجبها يدخل الفرد العربي زمن النظام التكنولوجي بدون إكراهات ثقافية وتعليمية وتربوية؟ وما حظوظ الدراسات المُستقبلية في استراتيجيات التدبير السياسي والثقافي في الدول العربية؟ وكيف يمكن لواقع "الديمقراطية" في العالم العربي أنْ يُسهم في تعطيل حركية الموقع الجديد للفرد مع منطق الزمن التكنولوجي؟ كيف يمكن تدبير هذه التحديات التي يفرضها واقع تكنولوجي، أصبح أمرًا واقعيًّا، واخترق بُعد المسافة الذي "قد" يجعل المجتمعات والدول تُعيد التفكير في تدبيرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتعليمي؟

بناء على هذه العينة من الأسئلة التي تُرافق عملية التفكير في كيفية التعامل مع الموقع الجديد للأفراد والمجتمعات، فإنّ حجم الخدمات التي تقدمها التكنولوجيا لمستخدميها، وتحفزهم لأنْ يكونوا شركاء في إنتاجها، خارج ثقافة/ رقابة "المؤسسات التقليدية"، يمكن أن تتحول (الخدمات) إلى عامل سلبي، بل عنصر قلقٍ، قد يشكل خطورة على الخصوصية الفردية والجماعية، مما يُعرض الأفراد والمجتمعات والدول إلى فوضى المعلومة، وخطر اللاستقرار في الفهم والأمن والوجود؛ ذلك لأنَّ أكبر المنصات التكنولوجية التي هيمنت عام 2017 م، من حيث الاستخدام في العالم، وهي منصة "الفيسبوك" التي احتلّت المرتبة الأولى في قائمة المواقع الاجتماعية العشرة، بنسبة مليار و800 ألف مستخدم في الشهر في إحصائيات 2017، تعرضت إلى فضائح تسببت في انخفاض أسهم شركتها، بسبب الخروقات الأخلاقية والقانونية، التي تجعل البيانات عُرضة للاستغلال السياسي والاقتصادي. كما نلاحظ أن المواقع الاجتماعية ذات الطابع المهني الوظيفي ما تزال محدودة الاستخدام. في قراءة بسيطة، فإن المنصات ذات البُعد الاجتماعي تظلّ في أعلى القائمة، والمنصات الاجتماعية المهنية التي تضم المهنيين، وتفتح التفاعل فيما بينهم من أجل أهداف محددة؛ أي حاجيات مهنية واضحة، ما تزال مُنحصرة في أفراد محدّدين أهدافهم سلفا. بتركيب بسيط أيضا، فإن تحديد الهدف من استعمال منصة تكنولوجية، يُسهم في تحصين المعلومة من الانفلات عن وظيفتها في خدمة الأفراد وأهدافهم وحاجياتهم.

2.1 المعلومة ومنطق السيولة

تحضر المعلومة باعتبارها حمالة مفاهيم تهدف إلى إحداث: معنى، ومعرفة، وتواصل، وتعلم، وإخبار، وتحفيز، وتتحقق بأشكال متعددة ومتنوعة. قد تأتي على شكل مفردة أو جملة، أو تظهر على شكل رسم بياني أو صورة ثابتة، أو متحركة، كما قد تظهر في صيغة أرقام. وكلما تطورت الوسائط والتطبيقات التكنولوجية، اتخذت المعلومة تمظهرات جديدة، ومن ثمة دلالات مختلفة حسب سياقات الاستخدام. لا تنتهي دلالة المعلومة باستخدامها/ استهلاكها، إنما تتحقّق استمراريتها بكثرة استخدامها، والاستخدام يتحول إلى هدف ربحي فينعكس على وظيفتها في توصيل حقيقة أو تأمين خبر. يمكن الحديث عن تجاوز مفهوم الاستهلاك الذي ارتبط بالموارد المادية، إلى مفهوم الاستخدام اللامنتهي.

تنعكس حياة المعلومة وفق مفهوم الاستخدام على مفاهيم مرتبطة بوظيفة المعلومة في حياة الناس، أو بتعبير آخر، الجدوى من المعلومة، وعلاقتها بحياة الإنسان، مثل المعنى والدلالة والفهم. ننتقل إذن، مع الوضع التكنولوجي للمعلومة من النسق الأفقي الذي يجعل المعلومة تنتهي عند استهلاكها، دون الحديث عن استمرار تأثيرها في الوعي الاستهلاكي، إلى نسق ترابطي يجعل المعلومة تعيش التحول السريع، وفق سياقات وأهداف استخدامها. وهنا، تظهر الخطورة في صعوبة التحقق من موضوعية المعلومة.

2. الإعلام الرقمي وإنتاج الملكية

يُشكل الإعلام الرقمي والمواقع الاجتماعية وسائط اتصال وتواصل عبرها تنشر المعلومة بين الناس. يسمح امتلاك الوسائط التكنولوجية لكل فرد من أفراد المجتمع نشر المعلومة، بصيغته ورؤيته، وتقاسمها مع الآخرين، بهدف جعلها مُتاحة أمام الكل بسرعة كبيرة. بل يتحول المُستقبِلُ للمعلومة إلى ناشرٍ جديدٍ لها، وكلما انخرطت المعلومة في منطق الشبكة، فقد الناشرُ الأول سلطة التحكم فيها، وأخذت المعلومة تجليات مختلفة. لقد تغير مفهوم المُنتج للمعلومة، والمُؤلف للنص، وبتنا أمام عمليات إنتاجية مفتوحة أمام الكل. ودخلنا مفهومًا جديدًا وهو "الشراكة" في الإنتاج والنشر والتأليف وصناعة الخبر.

تُشكل تحولات هذه المفاهيم في صناعة إدراكات جديدة؛ بل مختلفة للواقع والعالم والطبيعة والأشياء والإنسان. وهي إدراكات من شأنها أن تضع الإنسان أمام تحديات منطق الثورة الرقمية.

وإذا كان الإعلام الرقمي هو إعلام بديل عن الإعلام التقليدي، يعتمد مجموعة من الوسائط الإلكترونية التي تسمح بنشر المحتوى الإعلامي، وتتميز بالتفاعل المُتزامن مع النشر، وتعمل على دمقرطة المعلومة بإنزالها من المؤسسة، وتحويلها إلى فعلٍ اجتماعي يُعبر بواسطته أفراد المجتمعات عن حاجياتهم ومطالبهم وآلامهم وأحلامهم، فإنّ طبيعته، وكذا إمكانياته أدت إلى ظهور مفهوم جديد للإعلامي، تمثل أولاً في بروز وجه آخر للإعلامي المُتمثل في مُستعمل المواقع الاجتماعية، والتطبيقات الإلكترونية، وهو الفرد الاجتماعي-الافتراضي الذي تحول بموجب استعمال الوسائط التكنولوجية إلى إعلامي ينشر الخبر، إما بصناعته وتركيبه وإنتاجه، أو باستهلاكه وتعميمه وإعطائه بُعدا آخر، والتأثير في المجتمع باختياراته للمعلومة. وتتشكل سلطة هذا الإعلامي الجديد عبر فعل تقاسم المعلومة، ونشرها على أوسع نطاق في إطار منطق الشبكة المتفاعلة، ومن جهة ثانية، تحول مفهوم الإعلامي المهني، من الإعلامي المُنتج للمعلومة والخبر والذي يتوجه بها إلى الآخرين من أجل تقديم خدمة إعلامية، إلى إعلامي شريك في المادة الإعلامية، إمّا بحضور شركاء بجانبه "إعلاميون اجتماعيون"، يُؤثرون بنشرهم للمعلومة، أو باعتماده أيضًا على المنصات التكنولوجية نفسها، بالطريقة نفسها. فقد ارتفعت نسبة اعتماد الإعلاميين المهنيين على المواقع الاجتماعية من 85 في المائة سنة 2012 إلى 94 في المائة سنة 1917، أمّا اليوم ومع وباء كورونا، فإنَّ النسبة ارتفعت بشكل كبير، خاصة مع توقف الصحف بالصيغة الورقية. لهذا، فالمعلومة الإعلامية المهنية ستخضع-وفق الاستخدام الإعلامي-إلى مسارات التحول والتبدل، وتنفتح بفعل العمليات التفاعلية المفتوحة على "الإعلاميين الاجتماعيين" على الاحتمالات التي قد تُخرجها من قصديتها الأولى، وتجعلها حاملة لدلالات مختلفة. نحن نعيش إذن، تشكل حالة إعلامية جديدة، عند سوء تدبير الوعي بها، فإنها قد تؤدي إلى فوضى في المعنى والحقيقة. وهناك أمثلة عديدة، عن نشوب خلافات دبلوماسية بين دول بسبب نشر معلومة، وتقاسمها والتفاعل معها إلى حدّ انزياحها عن منطلقها. إنّها تكبر وتتسع مثل كرة الثلج.

لقد أدّى ظهور الإعلامي التكنولوجي إلى خلق نوع من الفوضى في المعلومة والخبر والحدث. لكون النشر/التقاسم لا يخضع لقوانين وأخلاقيات مؤسسة، وبالتالي، باتت المعلومة في ملكية مُشتركة غير منتهية، مفتوحة على أصوات جديدة. وعليه، فقد انتقل موقع الإعلامي في المنظومة الإعلامية السابقة من الموقع-المرجع إلى الموقع-الشريك؛ إذ، لم يعد وحده المسؤول عن المعلومة، وإنما أصبح له شركاء في بثّها. ما يعطي أهمية للإعلامي "المجتمعي/ الافتراضي" هو قدرته على التواجد المستمر، والتأثير المباشر، والتحفيز على تقاسم معلومته وخبره. مما يعطي أهمية لحضوره، ويدفع إلى البحث في كيفية التعامل مع هذا الحضور. وإذا كان هذا الوضع يسمح بمنح الفرصة أمام الكل ليعبر ويفضح ويعري أوضاعًا، ولنا أمثلة كثيرة في تجارب عربية، جعلت بعض السياسيين يتراجعون عن بعض القرارات بفعل حضور الإعلامي "المجتمعي/الافتراضي"، كما تحول خطاب هذا الإعلامي الذي يتحرك خارج نظام مؤسسة، إلى مصدر قلق وخوف بالنسبة إلى مدبري الشأن العام، مما جعلنا أمام ما يمكن التعبير عنه بشبه "معارضة في الظل" تتابع المشاريع والأفعال والقرارات وتتفاعل معها بإبداء الرأي والمعارضة والفضح واقتراح البديل، فإنّ ملتقى هذه الشراكة الإعلامية التي تتحقق مع إمكانيات التفاعل المشترك، تتم –في غالب الأحيان-خارج تعاقد أخلاقي وقيمي مسؤول، من أجل الارتقاء بالشراكة باعتبارها خدمة وظيفية يشترك فيها الإعلامي مع مكونات المجتمع، في سبيل تطوير حياة الناس، والرفع من مستوى معيشتهم، وتأمين الاستقرار.

سمح الاستعمال الخدماتي للتكنولوجيا بتدفق المعلومة، وتوسيع قاعدة انتشارها، دون التحكم في مسار تحولها. لأن مصادرها تعددت خارج منطق المؤسسة، وأصبحت إمكانية مُتاحة أمام الجميع بدون سند تكويني أو قانوني في غالب الأحيان. ينعكس هذا الاستعمال سلبا من جهة على مفهوم المعلومة الإعلامية التي تفقد قيمتها الاعتبارية، ودلالتها المرجعية، ودورها الوظيفي في إيصال الخبر، والتعبير عن الحدث، ومن جهة أخرى قد تتحول المعلومة إلى مصدر للعنف والدمار وتلويث الحقيقة، وتُسهم في ارتباك حياة المجتمعات. لقد تحولت سيولة المعلومة الإعلامية إلى مصدر قلقٍ اجتماعي، وارتباكٍ سياسي، وتوتر قيمي.

وقد يعود الانزياح الوظيفي للمعلومة في الإعلام التكنولوجي الجديد، إلى شبه غياب ضوابط ثقافية وقانونية، تضبط نشر المعلومة واستقبالها والتفاعل معها. وإذا كان الإعلام الجديد مع الثورة الرقمية واقعًا حتميّا، وفق منطق الزمن التكنولوجي، فإن العمل على تدبير هذا الإعلام، وطريقة استعمال المواقع الاجتماعية، بات يتطلب عدة مقاربات: تربوية وتعليمية وعلمية وثقافية وقانونية ورقمية. وهو وضعٌ يتطلب العمل باستراتيجيات، محددة لأهداف ملموسة.

3. اقتراحات تدبير التحديات

من أجل تأمين استخدام الإعلام الرقمي، وجعله رافعة تنموية وثقافية، وخدماتية، تُقدم الخدمة الوظيفية للمجتمعات والأفراد والدول، ومن أجل حسن تدبير ملتقى الشراكة بين الإعلامي المهني والإعلامي "الاجتماعي"، يتطلب الوضع استراتيجيات تكوينية وأخرى إجرائية:

1.3 استراتيجيات تعليمية وثقافية:

تُعتبر المقاربة التكوينية ذات البُعد الثقافي والتعليمي من أهم مداخل إنتاج الوعي بالاستخدام التكنولوجي. وعليه، فإن الوضع يتطلب استراتيجيات تدبيرية تبدأ من تطوير المنظومة التعليمية، من خلال إنشاء جيل وفق منطق الشراكة. ونقصد بذلك، وضع سياسة تربوية وتعليمية تتوخى تعليمًا سوسيو بنائيا، وليس تلقينيًّا، يجعل الطفل واعيا بموقعه باعتباره شريكًا (منهجية الشراكة في إنجاز العمل). إنّ تشكيل التفكير وفق الموقع الجديد، من شأنه أن يُكوّن إنسانًا تفاعليًّا لموقعه.

ينعكس التركيز على تكوين النشء على مختلف مسارات التكوين التعلمي ويدخل في إطار هذه الاستراتيجية، تدريب النشء على التعامل مع الموضوعات والمواد والأشياء بفعل الإنتاج، وهذا يستلزم إعادة النظر في صياغة الخطابات والأشياء بطريقة غير منتهية.

2.3 ثقافة التواصل التكنولوجي

لقد اعتاد الأفراد نمطًا معينًا من التواصل يعتمد الطابع المُباشر، ضمن حيز مكاني، يجعل المتواصلين يُحددون خطاب تواصلهم وفق معرفة بعضهم بشكل مباشر. وتنعكس طبيعة هذا التواصل على نوعية الاختيارات في المعجم والتعبير والأسلوب والمعلومة واحترام الآخر ومشاعره. ذلك، لأنّ الطابع المُباشر يجعل التواصل ماديًّا وواقعيًا، كما يمنح التواصل مساحته الزمنية للاستثمار. تغير مفهوم التواصل مع الثورة الرقمية، واستخدام المنصات التكنولوجية، وانتقل إلى مفهوم جديد وهو التفاعل، كما تغير مكان وزمن التفاعل، وظهر مفهوم جديد في مقابل "الواقعي" وهو "الافتراضي". ولعل من أهم إكراهات التواصل التفاعلي أن هذا الأخير يتم بأسلوب التواصل العادي، وأكثر من هذا بات يستثمر حرية التحرك في الفضاء الافتراضي من أجل تفاعل ملتبس ينزاح-في غالب الأحيان-عن الوظيفة الخدماتية للتواصل. لهذا، بات من الضروري وضع تكوينات حول "التواصل الإلكتروني" من خلال الوعي بالثقافة التكنولوجية وجهازها المفاهيمي الذي غيَر موقع الإنسان ودوره ومعنى وجوده.

3.3 حصانة قانونية تكنولوجية

تتميز الممارسة التكنولوجية في الإعلام وغيره من الحقول بالسرعة في الإنجاز والاستخدام، وبالتالي فإنّ انعكاسات وتأثير هذا المُنجز التكنولوجي يحدث بالسرعة نفسها. وعليه، فإن الإجراءات القانونية تُصبح مطلبًا ضروريًّا من أجل الحدّ من التأثيرات السلبية والخطيرة التي قد تحدث في الإعلام التكنولوجي.

إنّ التأخر في الوعي بالثقافة التكنولوجية بشكل عام وتحدياتها، ووضع استراتيجيات لِمواجهة هذه التحديات، قد يُعقد الوضع أكثر، ويُحول التكنولوجيا من وسائط خدماتية تُقدم للأفراد والمجتمعات إمكانات لتطوير نمط الحياة والتفكير، إلى وسائط قد تصبح في بعض الأحيان مقرصنة للأدمغة والعقول. تُعتبر دمقرطة المعلومة مكتسبًا تكنولوجيًّا، لكن

سوء تدبير المكتسب إعلاميًّا وثقافيًّا وعلميًّا وقانونيًّا خطرٌ كبير على الديمقراطية، ومن ثمة على استقرار وأمن المجتمعات.

2.التكنولوجيا رافعة التنمية الاقتصادية

يضعنا التفكير في علاقة الثقافة بالتنمية أمام تحدٍّ كبير. يخص هذا التحدي نوعية التصور الذي ننطلق منه حول الثقافة عندما نفكر في هذه العلاقة.

هل نفكر في هذه العلاقة بالمفهوم المألوف حول الثقافة؟ خاصة وأنَّ التفكير يتمُّ بتصورات ومفاهيم ورؤى وتأويلات وهذا مجال اشتغال الثقافة؟

هل نُفكر في إطار أفق مشترك مع المُستقبل لهذه الاقتراحات من التفكير؟

هل سنفكر في هذه العلاقة بمفاهيم وتصورات الثقافة، كما صيغت في عصر الحداثة، وترسخت عندنا، واستعملناها في ممارستنا ومقارباتنا؟

هل نُفكر في إطار أفق انتظار مشترك لهذا الموضوع؟

هل ما زلنا شركاء في نفس أفق الانتظار الذي تكون لدينا ثقافيا عبر مراحل ثقافية وتاريخية؟

الأمر إذن، لا يخص فقط الذات المُفكرة، إنما المُستقبِلة أيضًا.

إنَّ القصد من طرح هذه الأسئلة هو أهمية الانتباه من جهة إلى التحولات الجوهرية التي تعرفها المفاهيم على أرض الواقع، وتُؤثر بذلك على تمثلنا لها. إننا نتحدث اليوم عما يُسمى بـ"مراجعة المفاهيم". وهو ما جعل كثيرًا من المجتمعات تشتغل وتفكر في عقدها المجتمعي (وليس الاجتماعي) الجديد، تماشيًا أولاً مع التحولات الخطيرة التي تُحدثها التكنولوجيا في الإنسان والمجتمع والاقتصاد والأخلاق والقيم وكلّ مناحي التعاقدات الاجتماعية. كما تعود ضرورة طرح هذه الأسئلة من جهة أخرى، إلى أهمية تأسيس التفكير بالوعي بضرورة الانزياح عن التصورات المألوفة التي شكلت مرجعية للتفكير في المواضيع والقضايا، وخرق أفق الانتظار المشترك الذي تشكل-بدوره-بموجِبِ التعاقدات المتفق عليها، حسب وجهة نظر

التصور الثقافي المشترك، والانخراط جميعًا في تفكيرٍ يتطلب زمنه وشرطه أنْ يكون جديدا بل مختلفا، وفي إطار ما يسمى بالشراكة في إنتاج المعنى، أو السير نحوه. وعليه، فإن إدراك المفهوم الجديد للتفكير اليوم لا يتم إلا باستحضار مجموعة من المفاهيم مثل: التكنولوجية، والرقميات، والشراكة، والتقاسم، والتفاعل باعتبارها مفاهيم تُحدد جوهر العلاقة بين المعلومة ومُستخدمها. ولهذا، بدأنا نتحدث عن تراجع المرجع الواحد للمعلومة. ذلك، لأنّ المرجع بات وضعًا يتشكل من شركاء.

إنّ إنتاج الوعي بهذا المسار الجديد من التحولات في الواقع والإنسان، ثم في إنتاج الفهم والتمثل حولها، من أجل بناء المعنى والإدراك الجديدين، يتأسس على عنصرين اثنين: موقع الإنسان ووظفته.

يتحدد الموقع الجديد للإنسان مع الثورة الرقمية الرابعة التي تعتمد مفهوم "الذكاء الاصطناعي"، والتي جعلت الإنسان ينزاح عن موقع مركزية الكون، كما حدّده عصر النهضة عندما تبنى "فكرة الإنسان"، وجعل العالم مُدركًا بالإنسان وفكره وعقله وعلمه، وذلك لمواجهة فكرة "غياب الإنسان" مع العصر الوسيط، أمّا مع فكرة "الذكاء الاصطناعي" فإنّ ذكاء آخر أصبح شريكًا للإنسان في معالجة الكون وحلّ المشاكل. لقد انزاح الإنسان عن مركزيته في الكون. ولعلّ الأمر سيتعقد أكثر باقتراب إعلان الثورة الرقمية الخامسة.

لذا، فإنّ الحديث عن الموقع الجديد للإنسان، هو في جوهره حديث عن الوظيفة المُختلفة للإنسان ولعقله ولذكائه ولعمله في العالم. وبالتالي، فإنّ هذا التحول في الموقع/الوظيفة يفرض علينا ضرورة تغيير التفكير في قضايا بنيوية مثل الثقافة والاقتصاد والتنمية. ذلك؛ لأنّ التفكير يتم بمفاهيم لم تعد استعمالاتها ثابتة.

كيف إذن، نفهم الثقافة؟

كيف نفهم التنمية؟

هل يستقيم الفهم بعلبة مفاهيم عصر الحداثة؟

كيف نفكر بمفاهيم الحداثة التي تحول مفهومها بدوره إلى موضوعٍ للمراجعة؟

1.2 منطق العلاقة بين الثقافة والتنمية

كيف تتحول الثقافة إلى رافعة للتنمية؟ وكيف يمكن إدراك الثقافة بوصفها حلا من الحلول البديلة في تحقيق التنمية الاقتصادية؟

إنّ التفكير في العلاقة الجديدة بين الثقافة والتنمية الاقتصادية، من خلال البحث عن نموذج اقتصادي تنموي يُقدم حلولاً مختلفة لقضايا التنمية التي ما تزال معلقة، لا يمكن أن يتم بدون استحضار أهمية الوعي بالثورة الرقمية، وسرعة تأثير هذه الثورة في الاقتصاد والسياسة والمجتمع، وانعكاس تأثيرها على منظومة القيم الاجتماعية، وبتعبير أكثر دقة، على العقد المجتمعي العام. كما أنّ الثورة الرقمية تُؤثر بإيقاعٍ سريعٍ في حياة الإنسان وذاكرته وعقله ومستقبله وماضيه[1]. فالإنسان مع الثورة الرقمية يدخل في سرعة تتجاوز واقعه وإمكانياته المألوفة، إنّه عبارة عن هروبٍ إلى الأمام، وبسرعة هائلة تتمّ خارج كلّ مراقبة. ومن أجل تحديد هذا التحول الذي يطرأ على الإنسان وحياته وفكره وعقله وفعله، يستعمل كاتب الخيال العلمي الأمريكي "فرنر فينج" مفهوم "التفردية التكنولوجية" La singularité technologique للتعبير عن تراجع أشكال التفكير السابقة وحلول واقع جديد يُعيد النظر في كلّ القوانين الموجودة"[2]. وعليه، فإن الانطلاق من طبيعة التحول التاريخي الذي تُحدثه التكنولوجيا في الحياة والمجتمع، يسمح لنا بإعادة النظر في الدلالات الجديدة والمُختلفة للمفاهيم المتداولة: ومنها مفهومي الاقتصاد والثقافة.

إنّنا نفكر في العلاقة "الثقافة التنمية الاقتصادية" من خلال تغيير مفهوم الاقتصاد والثقافة، وتطور وسائل التواصل والاتصال.

تُعدّ الثقافة اليوم من بين البدائل الضرورية لتطوير الاقتصاد، وحلّ بعض قضاياه ومشاكله التي لم تتمكن الاقتصاديات السابقة من إيجاد حلّ مُناسبٍ، يسمح بخلق التوازن الاجتماعي، ويُحقق فرص العمل لفئات اجتماعية خاصة فئتي: الشباب والنساء. ولعل الدور

---

1 استعمل المفكر المستقبلي المغربي، الراحل "المهدي المنجرة" مفهومًا يبدو دقيقًا، وقريبًا من الاستعمال التكنولوجي وهو "مستقبل الماضي"، انظر، كرام، زهور: الفكر التنويري في الرؤية المستقبلية عند المهدي المنجرة.

2VERNOR VINGE: «La singularité», Article traduit de l'anglais par Emmanuel *Mie, p4.* https://mindstalk.net/vinge/vinge-sing.html

الجديد للثقافة اليوم في التنمية، يعود أولاً إلى الخدمات التي تقدمها التكنولوجيا لأفراد المجتمعات، وثانيًا إلى تغيير مفهوم الاقتصاد الذي تأثر بدوره بالثورة الرقمية، وتغيرت موارده. فاليوم نتحدث عن الاقتصاديات البديلة باعتماد موارد يسميها البعض بـ"موارد فوق الأرض" من خلال مفهوم "اقتصاد المعرفة" الذي يُشكل جوهر المنظومة الجديدة للاقتصاد.

فإذا كان الاقتصاد السابق أو ما بات يُعرف اليوم بالاقتصاد التقليدي يعتمد على موارد الأرض، والعمالة ورأس المال، فإنَّ الاقتصاد الجديد يعتمد على المعلومات والمعرفة والابتكار والذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة والروبوتات والتي تتفوق اليوم على اليد العاملة.

وحسب منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية فإنّ عصر اقتصاد المعرفة هو عصر الإنتاجية والنمو الاقتصادي، حيث اعتماد البلدان على المعرفة والابتكار والتعليم والمعلومات والتكنولوجيا. تحضر المعرفة بقوة فاعلة ووظيفية في "اقتصاد المعرفة". إنها المحرك الرئيس للنمو الاقتصادي؛ إذ يُؤثر موقع المعرفة في المفهوم الجديد للاقتصاد على التعليم والتفكير والعمل والإدارة، من خلال تعميم المعلومات والمعرفة بطريقة تسمح قدر الإمكان بإنتاجية أكبر في الابتكار التكنو اقتصادي.

يسمح اقتصاد المعرفة إذن، بتدبير شروط التنمية الاقتصادية، بالدفع بقيمة الابتكار لدى أفراد المجتمع، وتعميم المعلومات والمعرفة، وتطوير شروط التعليم، وتعميم الولوج نحو التكنولوجيا.

2.2 الهندسة الثقافية وتفعيل علاقة الثقافة-التنمية.

تُعدّ الهندسة الثقافية عبارة عن مجموعة من التقنيات والاستراتيجيات لتخطيط التنمية الثقافية، التي تأخذ بعين الاعتبار التصورات المتغيرة لمفهوم الثقافة ووظيفتها. إنّها مجموعة من الطرق والتقنيات والبدائل التي تقترحها لحلّ مشاكل تعتري المؤسسات والأنشطة الثقافية، والمنتوج الثقافي، وذلك بهدف جعل الثقافة منتوجًا تنمويًّا ربحيًّا.

لهذا، تعتمد الهندسة الثقافية باعتبارها عينة من الإجراءات التقنية والاستراتيجية لربط الثقافة بالتنمية، والاستفادة من القيمة الاقتصادية للمنتوج الثقافي، وتقديم حلول

للمشاكل التي يطرحها التطور الثقافي، ووفرة الإنتاج الثقافي، وارتفاع عدد الفضاءات الثقافية الفنية مجموعة من الخطوات، ذات علاقة بفلسفة هذه الهندسة من جهة، وبأجرأة هذه الفلسفة على أرض الواقع من جهة أخرى، نذكر منها:

-العنصر السياسي: يتعلق الأمر بالرؤية السياسية للثقافة باعتبارها مجالاً للتنمية الاقتصادية، والاعتراف بدور الثقافة في نمو الاقتصادي من خلال إعطاء الثقافة موقعًا استراتيجيًّا داخل التدبير السياسي، والرفع من ميزانيتها، وجعلها حاضرة في النموذج الاقتصادي المقترح.

-التدبير الإداري والفني والتقني: يتعلق الأمر بأهمية تكوين موارد بشرية، وتمكينها بخبرة جديدة في تدبير الحقل الثقافي بعلاقة بالتنمية الاقتصادية، تجعل هذه الموارد البشرية قادرة على اقتراح حلول بديلة لمشاكل الثقافة بمؤسساتها وأنشطتها وإنتاجها، وجعل الفضاءات الثقافية مثل المتاحف والآثار التاريخية في متناول جمهور واسع، يتعامل معها بدون حواجز مادية وذهنية وثقافية، وتأهيل فضاءات ثقافيًّا، وطرح خدمات بديلة تتكيف مع طلبات الشركاء في الحقل الثقافي، كما تُمكن هذه الموارد من القدرة التقنية والابتكارية على تنظيم الأحداث وتخطيطها وتنسيقها، وكذا المشاريع الثقافية، وتأمين سوق تسويقها، وجعلها مدرة للربح.

يفرض هذا العنصر أهمية انفتاح الجامعات والبحث العلمي على تخصصات في الهندسة الثقافية، وإدراج تكوينات أكاديمية وبحثية تتوخى توفير متخصصين في الهندسة الثقافية. وبهذا الشكل، تمكن الهندسة الثقافية من توفير فرص الشغل للشباب من جهة، وتعمل على إيجاد حلول للحقل الثقافي وجعله موردًا اقتصاديا تنمويًّا.

-العنصر الاجتماعي-الثقافي: من أجل خلق رؤية تكاملية بين الثقافي بكل صيغه ومظاهره وتحويله إلى مورد اقتصادي خاضع للسوق والربح المادي، فإنَّ نجاح هذا التكامل يتحقق بتأمين الثقافة بوصفها تنمية اقتصادية، والقدرة على تحصين القيم الاجتماعية لهذه الثقافة. ولعل الهندسة الثقافية تستطيع باستراتيجياتها أنْ تحقق هذا التوازن.

تعد الرقمنة الثقافية للتراث اليوم (آثار تراثية، مصادر، نصوص، مخطوطات...)، والإبداع والمؤسسات الثقافية والفنية (متاحف، معارض...) أكبر تحدٍّ بالنسبة إلى مستقبل المجتمعات والثقافات والحضارات. وعليه، نطرح أسئلة جوهرية في هذا الصدد:

-هل نحن على استعداد سياسي وثقافي وعلمي واجتماعي لكي ننخرط في هذا التحدي من أجل حضورٍ آمن لحضارتنا وثقافتنا ومعنى وجودنا بالمستقبل؟

-هل نحن على وعي بضرورة الانخراط في مكتسبات التكنولوجيا من أجل تأمين اقتصاد يُوفر الحياة الكريمة لكل الفئات؟

-هل استوعبت الجامعات وكذا البحث العلمي إلزامية الانخراط في تكوينات جديدة تتكيف ومتطلبات العصر، من أجل علاقة وظيفية بين المعرفة الأكاديمية ومنطق سوق العمل؟

-هل هناك إرادة سياسية في الانخراط في مفهوم "اقتصاد المعرفة" بأجرأة فلسفة هذا المفهوم؟

-كيف يمكن تحويل هجرة الأدمغة العربية ذات الكفاءة العالية في مجال التكنولوجيا إلى صانعة وشريك في الاقتصاد الجديد؟

تلك، بعض الأسئلة الموجهة إلى صانعي السياسة.

التكنولوجيا بين خدمة الإنسان وضياعه

1. التكنولوجيا وسيولة كورونا

لعلّ أحد أبرز نتائج التكنولوجيا الحديثة وحسناتها أنّها سمحت بدمقرطة المعلومة؛ فتنفست البشرية نبض الحرية في التعبير والتواصل والتقاسم والتفاعل. سارت البشرية بإيقاع سيولة المعلومة، فغيَّر ذلك الحياة ونِظامها، وبدَّل التعاقدات الاجتماعية، وطرح بدائل فرضت الانخراط السريع فيها. كلّ ذلك جعل المستقبل يتقدم بسرعة نحو الحاضر، فانتشرت الدراسات والبحوث السوسيولوجية واللسانية والفلسفية التي تُسائل تأثير التكنولوجيا في إنسانية الإنسان إلى حدّ جعل البعض يتحدث عن ميلاد إنسانية جديدة.

لقد حل وباءُ كورونا وتفشّى في جميع أنحاء المعمورة، وباء وصفته المنظمة العالمية للصحة يوم 11 مارس 2020 بالجائحة.

أُغلقت المطارات والموانئ، وتعثر الاقتصاد، وارتبك الإنتاج، وتوقفت المدارس والجامعات، وخمد إيقاع الحياة، فأصيبت الأسر بالحيرة، ثم عاد أغلب سكان العالم مجبرين إلى منازلهم، فشُلَّتِ الحركة في أكبر ساحات عواصم العالم، وتوقف الطواف بمكة المكرمة، وتأجلت الصلاة في المساجد والكنائس والفضاءات الدينية. ولكن استمرت سيولة المعلومة بنشاط التكنولوجيا وتطبيقاتها المتعددة التي اقترحت على المجتمعات فرصًا جديدة، بل مُغايرة للتعايش مع الوضعيات المُستجدة.

فرض انتشار فيروس كورونا على أكثر من خمس وثلاثين دولة في العالم الانسحاب فجأة من الواقع المادي والإقامة في العالم الافتراضي باعتباره البديل الوحيد والأوحد لمواجهة الحجر المنزلي، وتحقيق التباعد الاجتماعي. ونظرًا إلى فجائية الوباء، وسرعة تفشيه، فقد حضرت التكنولوجيا وأضحت بمختلف وسائطها سلاحًا دفاعيًّا.

1.1 كورونا والبيئة الافتراضية

انتقل وجود الشعوب بموجب العيش في البيئة الافتراضية إلى وجود شبكي تتحكم فيه شبكات الاتصال والتواصل، ويخضع لارتفاع درجات التدفق المعلوماتي. فقد استعيض عن التباعد الاجتماعي بتقارب اجتماعي من خلال وسيط شبكي، وهذا نوع جديد من التقارب سيؤثر في نمط الحياة الاجتماعية المألوفة.

وبحكم المدة الزمنية للحجر الصحي، وما نجم عنه من تباعد اجتماعي، تحول الافتراضي إلى إقامة مجتمعية، يُمارس فيها الأفراد حياتهم الاجتماعية والعملية والاقتصادية، ويستمر عبرها الإعلام في تقديم مواده الإعلامية، ويدير السياسيون إدارة الدولة ومؤسساتها، ويتواصلون من خلالها مع المواطنين. لقد أضحى الافتراضي بموجب وباء كورونا بيئة شبكية للمجتمعات والسياسات. وإذا كان الانخراط في الافتراضي قبل زمن الفيروس اختيارًا فرديًّا ومجتمعيًّا وسياسيًّا، تُمليه إمّا ضرورة العمل أو الرغبة في التجريب، فإنه مع الوضعية الاجتماعية المستجدة تحول إلى إلزامٍ مجتمعي واقتصادي وسياسي، على الصعيد المحلي، وحتى الدولي.

إنّ ما يحدث اليوم في هذه العلاقة الشبكية الخدماتية بين التكنولوجيا والمجتمعات يُظهر بشكل جليّ، ما تحدثت عنه الدراسات الثقافية الرقمية عن المظهر المزدوج للثورة التكنولوجية، من خلال العلاقة بين التقنية والدراسات الثقافية، وقدرة هذه العلاقة على خلخلة معنى الوجود الإنساني كما تشكل تاريخيًّا. وبالتالي، فإنَّ مجمل المفاهيم التي تحدثت عنها الدراسات والبحوث في علاقة بمنجزات العصر الرقمي، مثل الافتراضي، والتقاسم، وثقافة الولوج، والتفاعل، والعلاقة الشبكية، ونهاية الوساطة، والابتكار، والإبداع، والاستقلالية والذكاء الاصطناعي، نشهد اليوم تحقّقها وتجلّيها في البيئة الاجتماعية الافتراضية.

2.1 التكنولوجيا وسائط دفاعية

تحولت التكنولوجيا ووسائطها وتطبيقاتها إلى جنود دفاعية لمواجهة الوباء، ومقاومة الحجر الصحي، ومواجهة تحديات التدبير السياسي والاقتصادي والتعليمي والاجتماعي والإعلامي. لا يتعلق الأمر فقط بالدول المتطورة تكنولوجيا، أو التي تحضر التكنولوجيا عندها خدمات للتنمية والتدبير الإداري والتعليمي، بل حتى بالنسبة إلى الدول النامية. حدث ذلك باتخاذ مجموعة من الإجراءات والتدابير، من أهمها: إدارة العمل والتعليم والسياسة من المنازل، والإجراء التواصلي التوعوي، ثم تحويل المنصات التكنولوجية إلى محطات فنيّة وثقافية ووسائط للترفيه والموسيقى.

أ. الإجراء التعليمي

حسب اليونسكو فإنَّ نصف مليار من التلاميذ والطلبة تحولوا للتعليم الرقمي والتلفزيوني من منازلهم، هناك إغلاق كامل للمدارس في 102 دولة وإغلاق جزئي في 11 دولة. أمام هذا الوضع وجدت معظم الدول نفسها مجبرة على التعامل مع البديل التكنولوجي في التعليم من أجل إنقاذ السنة الدراسية، باعتماد أشكال التعليم عن بُعد بصيغته التقنية التعليمية المتعارف عليها في المنظومة التربوية العالمية، كما هو الحال بالنسبة إلى الدول المتطورة تكنولوجيًّا، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية والصين. أمّا بقية الدول التي فاجأها الفيروس، وهي ما تزال تفتقر للبنية التكنولوجية التي تسمح بتطبيق التعليم عن بعد، مثل أغلب الدول العربية، فقد وجدت نفسها مجبرة على ركوب التحدي بإمكانيات متواضعة، والانخراط في التعليم عن بُعد بصيغ متفاوتة، سواء باعتماد منصات تعليمية مجانية مخصصة للمدارس، أو استثمار تطبيقات تسمح بمشاركة المعلومات بين عدة أفراد، أو اللجوء إلى المواقع الاجتماعية مثل الفيسبوك، أو التطبيقات التكنولوجية مثل الواتساب، إلى جانب التعليم التلفزيوني، مما يجعلنا نتحدث عن مفهوم "التعليم من بعيد" أكثر من مفهوم "التعليم عن بعد"، نظرًا إلى غياب الشروط اللوجستيكية والثقافية والتكوينية لإنجاح تجربة التعليم عن بعد.

ولعلها تجارب وإن جاءت تحت ضغط الوضعية الوبائية، فإنها ستُغير أشياء كثيرة، وستكون حافزا أمام الدول العربية للانخراط في التعليم عن بعد، بتهيء شروطه التكنولوجية والتعليمية والمادية.

ب. **الإجراء التواصلي التوعوي**:

يأخذ هذا الإجراء مظاهر عديدة، منها ما يتعلق بطريقة رصد انتشار الوباء، والإعلان عن تدابير الدولة للوقاية منه صحيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا. ولهذا، نلاحظ نشاط حركة تواجد السياسيين في مواقع التواصل الاجتماعي والتطبيقات التكنولوجية، فقد تحولت المواقع الاجتماعية إلى منابر إعلامية لتصريف المعلومة السياسية والصحية والاقتصادية، قبل الإعلام الرسمي أو الفضائيات. وهو نشاطٌ يُطور مفهوم التواصل السياسي-المُجتمعي بين مدبري الشأن العام والمواطنين، كما يخلق ثقافة الثقة بين السياسيين وأفراد المجتمع.

تميز هذا الإجراء أيضا بظهور ظاهرة الأطباء المُؤثرين، الذين انخرطوا في التوعية الصحية المجتمعية، بالتواصل المباشر عبر المنصات والمواقع الاجتماعية مع الناس، من داخل المستشفيات للتوعية، ودعوة الناس للبقاء في البيت. وهو ظهورٌ جعل الأطباء فئة مُؤثرة رقميا في الوعي الجماعي، إلى جانب حركية نشطاء الفيسبوك خاصة في المغرب العربي ومصر، وتويتر في الخليج العربي للوقاية من الوباء بالدعوة إلى البقاء بالبيوت، واقتراح بدائل جديدة للحياة في البيئة الافتراضية. أسهم هذا الحضور الافتراضي التواصلي في تمتين قيم التضامن المجتمعي التي ظهرت بقوة بين أفراد المجتمع، من خلال الوجود الشبكي مما عزز التدفق المعلوماتي، وتقاسم التجارب، إلى جانب المبادرات الفردية والمؤسساتية التي ظهرت بقوة لتقديم المساعدة في الدروس عن بعد، أو اقتراح تحميل كتب إلكترونية، أو تقديم ورشات في التنمية الذاتية والنفسية للمساعدة على تحمل الحجر المنزلي، من أجل عودة سالمة إلى الفضاء الخارجي بعد كورونا.

ج. التدبير الثقافي الفني والترفيهي التكنولوجي:

إذا كانت الحياة قد توقفت في الفضاء الخارجي، فإنَّ الفضاء الافتراضي نشِط بمحاكاة الواقع. فقد تحولت منصات الفيسبوك والتويتر إلى محطات فنية، يُقدم فيها الفنانون موسيقاهم، والمبدعون إبداعاتهم، كما انفتحت كبريات المكتبات العالمية على العموم، وسمحت بالولوج إلى رفوفها، وعرض موادها المعرفية، وتقديم خدماتها الإدارية بالمجان وبلغات عديدة لمدة 3 أشهر، كما فتحت كبريات المتاحف العالمية أروقتها الفنية للجمهور من كلّ أنحاء العالم، لزيارة أروقتها.

وقامت مكتبات عالمية بتفعيل خدماتها بتقديم منظومة متكاملة معرفيا وثقافيا بشكل تقني عبر موقعها، منها استعارة الكتب، ونسخ صفحات المخطوطات. وظهرت مبادرات مؤسساتية للمكتبات الإلكترونية، مثل "أمازون" التي سمحت بالاطلاع على 20% من صفحات الكتاب مجانًا، ووضعت بعض دور النشر العربية على منصة الفيسبوك روابط كتب وإبداعات، للتحميل والقراءة. إلى جانب استمرار اللقاءات والندوات الثقافية افتراضيًّا، مثل تنظيم مركز الدراسات الاستراتيجية بمكتبة الإسكندرية ندوة تفاعلية افتراضية حول "جائحة كورونا وانعكاساتها المحلية والإقليمية والدولية"، والمحاضرة الافتراضية "التفكير في العولمة، التفكير في اللايقين" ضمن مشروع سلسلة محاضرات افتراضية لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط.

تُعتبر اللحظة التاريخية التي يعيشها العالم مع انتشار الوباء، ووقوف التكنولوجيا سلاحًا للدفاع عن الأفراد، وتأمين حياتهم وإدارة أعمالهم، وتعليم أبنائهم، وتصريف خدماتهم الاجتماعية والصحية والاقتصادية، بمثابة التجلي الفلسفي للتحول الذي تُحدثه الثورة الرقمية في نمط الوجود الإنساني. إنَّ كلَّ الدراسات والأبحاث التي اشتغلت على انعكاس العصر الرقمي على نمط الإنتاج والاستهلاك، وعلى الحياة والتفكير كانت تعتمد الإحصائيات السنوية لمستخدمي الانترنت، والمواقع الاجتماعية والتطبيقات التكنولوجية، من أجل تحليل معنى التحول. أما مع الوضعية المستجدة مع كورونا، فإن واقع تجلي هذه العلاقة في الحياة

العامة، أظهر بالملموس طبيعة هذا التحول، وأفقه فيما يخص طبيعة الوجود الإنساني بعد كورونا، وإمكانية التفكير في تصور جديد حول "إنسانية جديدة".

- كيف ستعود المجتمعات إلى البيئة الواقعية بعد كورونا؟
- هل ستنتقل تقاليد البيئة الافتراضية إلى الواقع الاجتماعي؟
- هل ستخرج المجتمعات برؤية مختلفة للوجود والحياة؟
- هل ستُعيد الدول العربية تصورها للمشروع التنموي انسجامًا مع تحديات الوباء؟
- ماذا تعني "إنسانية جديدة" بعد كورونا؟

لكن، الدور الخدماتي الدفاعي الذي قامت به التكنولوجيا لتأمين استقرار الحياة، تُرافقه مخاطر تحكم التكنولوجيا في حياة الأفراد والمؤسسات والدول؛ إذ أبانت بعض الإجراءات التكنولوجية عن اختراقها لمبادئ حقوق الإنسان من خلال مُراقبة الأفراد وتحركاتهم مع انتشار الوباء، ولعلها قضية، وإن فُكِّر فيها في مؤتمرات ودراسات سابقة، فإنها ستتحول إلى قضية حقوقية كبرى، تضع الإنسان أمام خيارٍ صعب بين الاعتراف بدور التكنولوجيا في تأمين استمرار حياته والخوف من خطورة الاستغلال التكنولوجي.

2. شارلي شابلان والأزمنة التكنولوجية

منذ بداية الوعي بالخدمات الهائلة التي تقدمها التكنولوجيا إلى الإنسان، تمّ التركيز –على الأقل في تجربة الاهتمام العربي- على الحرية، باعتبارها أهم خدمة تمنحها التكنولوجيا إلى الفرد العربي؛ إذ، تسمح له بالتعبير متى شاء، وكيف رغب، وعن أي شيء. أسهم مفهوم دمقرطة المعلومة تكنولوجيا في توفير شرط انتشارها، بل تيسير الوصول إليها، وجعلها مُتاحة بكل الوسائط، وأمام كل الفئات والأعمار. ولأنّ التكنولوجيا كريمة إلى حدّ بعيد في ضخ المعلومة، وتمكين الأفراد منها، فقد أنشأت حالة من الثقة في النفس، أو استعادة الثقة التي دمرتها الرقابة في السياسيات العربية. سهّل مهمة استرجاع الثقة، والانخراط في زمن المعلومة، والانتقال من موقع المُستقبِل إلى موقع المُنتج، مفاهيم رافقت منطق اشتغال التكنولوجيا،مثل: تقاسم المعلومة، والشراكة في توزيعها، وسمحت التطبيقات التكنولوجية

بتطبيق هذين المفهومين، دون المرور من التكوين أو التعلم والتدرب. يكفي أن تتعرف على تطبيقٍ، وتستعمله، حتى تجد نفسك مُطبقا، ومشاركًا، ومتقاسمًا ما تتوصل به. إلى هنا، تبدو العلاقة مع الخدمات التكنولوجية مُدهشة، بل علاقة ممكنة، ولا تحتاج إلى جهد أو تكوين، على الأقل، في مستوى العلاقة مع التطبيقات والمواقع الاجتماعية. لكن العلاقة عندما تُفرغ الخدمات التكنولوجية من الهدف الإنساني، وتُحول الحرية إلى فوضى، والإنسان إلى موضوعٍ لمعلومات مُفبركة، وتقاسم المعلومة إلى لعبة إيديولوجية، تتقاذفها التطبيقات خارج الوعي بصحتها، فإن العلاقة تتحول إلى سؤالٍ جوهري حول المحتوى الذي يتمّ تناقله، وتبادله وتقاسمه. ولهذا، يحقّ لنا طرح الأسئلة التالية: ما هي طبيعة المحتوى التكنولوجي في الاستعمال العربي؟ هل يمتلك المُستعمِل التكنولوجي وعيًا بمفهوم المحتوى؟ ما هي علاقته بالمعلومة التي تصله عبر التطبيقات والمواقع الاجتماعية؟ كيف يتدبر استقبالها؟ كيف يُمكن قياس تحول وعي الأفراد من خلال علاقتهم بالخدمات التكنولوجية؟ هل تُرافق عملية الاستعمال التكنولوجي حصانة ثقافية واجتماعية ونفسية؟ هل يمكن الحديث عن تطور وعي الأفراد في المجتمعات العربية؟ كيف يمكن قراءة هذا الوعي؟ هل انتقل الوعي إلى مرحلة ناضجة؟ أم هناك انتكاسة؟ وإلى أيّ حدّ يمكن الحديث عن تحول اجتماعي ينقل المجتمعات العربية إلى حالة تاريخية أكثر إنتاجًا، واستثمارًا للتطور التكنولوجي؟

تُشكل هذه الأسئلة مداخل لتحليل العلاقة بالخدمات التكنولوجية، وكيفية تدبيرها في التجارب العربية، ومحور أبحاث علمية وسوسيولوجية ونفسية وثقافية، على الفكر والإبداع العربيين أن يشتغل عليها. للاقتراب من بعض هذه الأسئلة، يكفي تأمل مشهد الممارسة التكنولوجية في التطبيقات والمواقع الاجتماعية والإعلام الإلكتروني، لنُسجل هيمنة مظاهر عديدة، تعكس ظواهر خطيرة، بشأن ضرب القيم، وإفراغ الشيء من قيمته، وتجريد الإنسان من إنسانيته، والرفع من الابتذال، وجعله مطلوبًا، ومن التفاهة وتحويلها نجمة. ومنح الصوت لفاقده، وفبركة نجوم، وبمقابل هذا النوع من الهيمنة، يخفت صوت العقل، والموهبة، والحكمة، بل يُصبح العقلُ عارًا على حاملِه، والموهبة عبئًا في غياب الصورة، والحكمة ضبابًا قاتلًا. نختار من هذه المظاهر العديدة مظهرين اثنين، لكونهما يُؤشران على

انزياحٍ خطيرٍ عن مكتسبات نضال الشعوب في تأمين كرامتها الإنسانية. يتعلق الأمر من جهة بهيمنة خطاب العنف اللغوي الذي بات صلة الوصل بين ناس التطبيقات والمواقع الاجتماعية، وخطاب تحرير بعض وسائل الإعلام الإلكتروني، بل لم تنج من هذا الخطاب حتى المؤسسات الثقافية والتعليمية والتربوية والسياسية، وذلك، من خلال البحث عن أقصى درجات العري في اللغة، لجعلها ناسفة لكل تواصل إنساني يعتمد احترام الآخر، وحماية ضعفه، ورأيه بقبول الاختلاف، واللجوء إلى الإعلاء من خطاب الشتم والسبّ والتحريض، وتوريط اللغة في حالة هستيرية، من مفردات وتراكيب وتعبيرات تخدش ألقها التاريخي، وتجعلها ماكرة، ولعنة، ومُدمرة لدفء العلاقة الإنسانية، بل مُحرضة على اللاتواصل، وعوض حثّ اللغة على بناء حوار فاعلٍ بين المتكلمين، بموجب منطق الخدمات التكنولوجية المُحفزة على التفاعل والتواصل، بتقاسم المعلومة وتبادل الخبرة، من أجل حياة أفضل للمجتمعات الإنسانية، يتم تجريد اللغة من قيمها ورونقها، والزجّ بها في التعبير العنيف. إنَّ اللغة مدخلٌ جوهري لبناء التواصل السليم، متى وُرطت في لعبة العنف، فإنّها تُدمر جوهر الإنسان، عندما تجعله باردا وقاسيا وعنيفا. ومن جهة أخرى، بتنا نلاحظ - خاصة مع بعض منابر الإعلام الإلكتروني-ظاهرة تبخيس إنسانية الإنسان، واللهاث وراء تحقيق البوز، وإن كان الثمن ضرب ذاكرة، أو قيمة. ولعل ما حدث مع البطل المغربي العالمي سعيد عويطة عام 2019، بتحويل وضعية اجتماعية أسرية خاصة، إلى وضعية إعلامية مُبتذلة، حولته من بطلٍ قهر المسافات بخطواته التي حطمت الأرقام، في ألعاب القوى العالمية. ومثلٍ للنجاح المُستحق، ونموذجٍ للتحدي والوصول، إلى متهمٍ بدون تهمة، ومُدافعٍ عن قضية ليست قضية، والزج به في حالة إعلامية إلكترونية، تخلت عن البطولة في المسافات، وأجبرته على الخضوع إلى لعبة البطولة الجديدة التي تقتات من ثقافة البوز، وتلهث وراء جمع اللايكات، بخدش اللغة، والبطولة والذاكرة، وجوهر المعنى، عوض إحياء سعيد عويطة في المساحات التكنولوجية، وتقديمه نموذجًا يُحتذى به، من قبل الشباب، في معنى البطولة الحقيقية التي جعلت عويطة يُحطم عام 1984، رقما قياسيا لمسافة 5 ألاف متر في ألعاب القوى العالمية، وهو رقم صمد أكثر من عقدين من الزمن. وبطلا عالميا عام 1987، وسُمي أول قطار سريع بالمغرب باسمه، وعندما اعتزل عام 1991، أكمل مساره

العلمي، وتابع دراسته في جامعة فينيكس بولاية أريزونا في الولايات المتحدة الأمريكية، وحصل على الباكالوريوس والماجستير في إدارة الأعمال. وربط الأجيال الحالية بذاكرة الانتصار، ومعنى التحدي، وقوة الأمل التي تُغادر الشباب، وتتركهم فريسة للفراغ المفتوح على كل الاحتمالات، والتذكير بعويطة العداء المغربي، الذي كسر الهيمنة البريطانية على مسافات 1500 و2000 و3000 و5000 متر والميل المزدوج.

إنّه واقعٌ يدعو إلى يقظة ثقافية وفلسفية مثلما أنجزها شارلي شابلان في أزمنته الحديثة. فقد استطاع شارلي شابلان أن يُلخص أزمة الإنسان مع الآلة في المجتمع الصناعي في عمله الإبداعي التاريخي "الأزمنة الحديثة" سنة 1936. كان شابلان مُبدع الرؤية كتابة وإخراجًا وإنتاجًا. واستطاعت "الأزمنة الحديثة" أن تكون صرخة في وجه النظام الصناعي الذي حوّل الإنسان إلى آلة، وأنتج مفهومًا جرّد الإنسان من إنسانيته وهو "مكننة الإنسان". وهو المفهوم الذي عبَّرت عنه الرواية أيضا بِـ"البطل الإشكالي". جاءت الثورة الصناعية بإمكانيات هائلة لدعم الفرد، وجعله يعمل، وينتج، وغيرت حياته وتفكيره، ووضعت أمامه المصنع لكي يعمل، ويثبت ذاته كائنًا قادرًا على الإنتاج، ومنحته بطولة زمنه ضميرًا كائنًا بذاته ولذاته، بعدما كان مُغيبا في العصور الوسطى، خاضعا لهيمنة الكنيسة، وكان عقله خاضعا للوصاية، هذه الثورة التي جعلت الفرد بطل عصره، ورطت بطولته في إشكالية، عندما حولت الإنسان إلى شيء وآلة، وجعلته بطلاً إشكاليًا. بطلٌ وفي الوقت ذاته إشكالية. ولعل شارلي شابلان قد أبدع في أزمنته الحديثة في تشخيص البطولة الإشكالية، بطريقة ساخرة لمنطق الآلة التي من المفروض أن تخدم الإنسان، وتعمل على جودة حياته، تُحوله إلى عبدٍ لها، وتُجرد جوهر إنسانيته. إننا نعيش المأساة نفسها، فيما يخص علاقة تدبير التكنولوجيا. فهل يمكن الحديث عن مفهوم "الذاكرة اللاتواصلية" مع الثورة التكنولوجية، كما هو الشأن مع البطولة الإشكالية والثورة الصناعية؟ ألا نحتاج إلى فلسفة تُرافق هذه العلاقة. وإلى إبداعات تُعبر عن هذه الازدواجية القاتلة بين توفر الإنسان على وسائط التواصل، والعمل على تدمير الآخر والذاكرة؟ ألا نحتاج إلى عبقرية شارلي شابلان في الأزمنة التكنولوجية؟

3.التكنولوجيا وسؤال التركيز

انطلق بالمغرب يوم الخميس 15 نوفمبر 2018 "البُراق"، أول قطار فائق السرعة بإفريقيا، يختصر المسافة بين قطبين اقتصاديين للمغرب، طنجة عاصمة شمال المغرب، والدار البيضاء عاصمة الاقتصاد المغربي في ساعتين فقط، بدل خمس ساعات. الانتقال من مدة زمنية إلى أخرى هو انتقال بنيوي في مفاهيم عديدة، منها المكان والزمن، البداية والنهاية، المسافة والمساحة، السفر والمشاهدة، التفكير والتأمل، الإنتاج والتسويق، السرعة والتباطؤ، وغير ذلك من المفاهيم التي قد لا ينتبه إليها الإنسان العادي، لكنها حاضرة في الوعي الاقتصادي والسياسي والخدماتي باعتبارها طفرة اقتصادية، غير أنها مفاهيم سرعان ما تبدأ في التحول في وعي الإنسان العادي، وفي سلوكه وفكره، وفي ردود فعله، فتُغيره، وتُحوله إلى كائنٍ جديدٍ ومختلفٍ. إنه انتقال في قيم التأمل والتركيز والحلم والتذكر، وإعادة ترتيب فوضى الذاكرة.

يمنحنا السفر في القطار العادي والسريع فرصة مُشاهدة الطبيعة بتفصيلاتها وأفقها، وبدعوتها إلى مرافقتنا، إنها تُسافر معنا، وتمنحنا في الوقت نفسه إمكانية الامتداد، والتذكر. وعندما نصل إلى محطةٍ، نكون قد عشنا حياة خاصة استثنائية، قبل أن نغادرها، تكون صور التأمل ومشاهد التركيز وأفق الحلم قد أخذت مكانها في فضاء الذاكرة. ليس السفر مجرد انتقال في المكان فحسب، إنه حياة وتجربة وحالة. عندما يتغير إيقاع السفر، يتأثر التأمل والتذكر والتركيز والحلم، ومن ثمة، تتغير الذاكرة. كيف تُصبح ذاكرتنا مع السرعة الفائقة؟ وإلى أي حدّ نمتلك القدرة على الاحتفاظ بقيمة التأمل؟ وما مصير التركيز مع السرعة الفائقة؟

يدخل "البراق" في إطار منجزات الثورة التكنولوجية، التي تُغير الزمن والمكان ومن ثمة، تُؤثر في شروط الوجود الإنساني. تتميز التكنولوجية بخاصية السرعة الفائقة في الابتكار، وهي السرعة التي تفعل في حياة الإنسان وتفكيره، وفي معنى وجوده. مع كل ابتكارٍ تكنولوجي نُصاب بالدهشة العلمية، وهذا حقّ مشروع وطبيعي، يدخل في إطار الفرح الإنساني الذي

يشهد مكتسبات زمنه العلمي والتكنولوجي، غير أنَّ سرعة التكنولوجيا في ابتكار منجزاتها، قد تُلغي سؤالاً ضروريًّا،إن لم نقل فلسفيا حول علاقتنا بالتكنولوجيا.

ماذا تمنحنا التكنولوجيا؟ وماذا تأخذ منّا؟ لا يحضر السؤال الثاني باعتباره نسقًا للسؤال الأول، أو سعيًا إلى ضرب دور وأهمية التكنولوجيا في تحسين وضعيات الإنسان، وتحقيق شروط التنمية. إنما السؤال الثاني يشتغل بوصفه خطابًا مُوازيًا للأول، من أجل الوعي بابتكارات التكنولوجيا، وكيف يمكن الاستفادة من التكنولوجيا، بدون العبث في إنسانية الإنسان. ولعل من بين الأسئلة التي يطرحها الابتكار التكنولوجي فائق السرعة هو موضوع مصير "التركيز" مع السرعة الفائقة التي تنتقل من التكنولوجيا إلى الحياة اليومية.

بالنظر إلى منطق الزمن التكنولوجي، فقد أصبح الإنسان يعيش حياتين. واحدة داخل شبكة الإنترنت، وأخرى بالواقع المادي. تتميز الحياة الأولى بمظهرين اثنين: السرعة الفائقة من جهة، وتعدد المهام أو الأفعال التي يُنجزها الإنسان في هذه الحياة من جهة أخرى؛ ذلك، لأن أي مُستخدم للشبكة يجد نفسه في وضعية إنجاز مجموعة من الحركات أو الأفعال في الوقت نفسه. يكتب رسالة، يتصفح موقعًا، يتفاعل مع تعليق، يجيب عن مكالمة عبر تطبيق الواتساب أو غيره، ينتقل إلى انستغرام، يُتابع صفحته على الفيسبوك، يفتح ملفًّا في محرك البحث، يدفعه إلى الخروج منه ثم احتمال العودة أو اللاعودة إليه، بفعل تقنية الرابط، وقد ينتقل بسرعة إلى المشاهدة، عبر صورة أو مقطع فيديو أو فيلم سينمائي أو مسرحية، قد لا يطلب المستخدم ذلك، لكنه يجد نفسه أمام إغراء الاقتراحات، فيُغريه الاكتشاف في الدخول في التجربة، وقد ينسى الإشارة الأولى لبداية الحياة في الشبكة، وقد لا يعود ينتبه إلى سبب دخوله الأول، وبحثه الأول، وحركته الأولى. وعندما يخرج من الحياة في الشبكة، قد يشعر بنوع من الإرهاق، والتعب، وقد يحسّ بامتلاءٍ من المعلومات والصور والأخبار والتفاعلات إلى حدّ التخمة، فالغثيان، لكونه مارس انتقالات متعدّدة بين فضاءات وأزمنة متنوعة، وجاب أماكن وسافر فيها، ومرّ سريعًا على عناوين وصور. لقد قام بأفعال متعددة في مدة زمنية محدّدة، بطريقة سريعة. إنّه المنطق الافتراضي الذي يُشكل جوهر شبكة الإنترنت، والذي لا يفعل فقط في المعلومات والاتصالات، إنّما يُؤثر في صيغ الوجود الإنساني، وفي الأداء الاقتصادي، وفي مفهومين مهمين في حياة الإنسان وهما: الحلم والذاكرة. إنها

حركة تحول جوهري، تذهب أبعد من الشبكة التكنولوجية، وتتحول إلى حالة اجتماعية جديدة على مستوى الحياة في الواقع المادي. يتأثر سلوك الإنسان بمنطق السرعة الفائقة، وعندها يتراجع التأمل، ويقل الصبر، ويضعف التركيز، ويحلّ التشتت، والتجزيء. ولعلّ المفكر الفرنسي "بول فيريليو" (Paul Virilio) منظر مفهوم "السرعة" قد انتبه إلى خطورة السرعة في علاقة بالتكنولوجيا منذ كتابه "السرعة والسياسة" (Vitesse et politique) الصادر عام 1977. ففي الوقت الذي ركز فيه غيره من المفكرين والباحثين في العلاقة بين التكنولوجيا والسرعة على التكنولوجيا، انشغل "بول فيريليو" بالسرعة التي تعمل التكنولوجيا على تسريعها بدون انقطاع، واعتبارها الاقتصاد السياسي الجديد الذي تحكم به السلطة.

ومن أجل تحليل العلاقة بين السلطة التي تتحكم اليوم في الناس وفي الحرب وبين السرعة، فقد أسس "بول فيريليو" حقلاً معرفيًّا وفلسفيًّا وسياسيًّا من خلال نحت مصطلح الدروموقراطية "Dromocratie" الذي يتألف حسب مترجم كتابه: "السرعة والسلطة من ثورة الشارع إلى الحق في الدولة"[1]. من مقطعين؛ الأول: Dromos" ويعني السباق أو السرعة، والثاني:Crator وتعني إله القوة والسلطة عند الإغريق؛ لهذا فالدرومقراطية هي سلطة السرعة التي تتحكم في المجتمعات المعاصرة والحديثة. فإن كانت الديمقراطية تعني سلطة الشعب فإن الدروموقراطية هي سلطة السرعة"[2].

عندما نقرأ، فنحن نُشاهد، ونتأمل ونستمع ونرى. وعندما نُشاهد، فنحن نقرأ ونستمع ونتأمل، وعندما نستمع، فنحن نُشاهد، ونتأمل، ونرى. إنّ الجامع بين هذه الأفعال كلّها هو التركيز مسار اشتغال هذه الأفعال.

يفرض إذن، موقع الإنسان اليوم بين حياتين (افتراضية/ واقعية) طرح سؤال "نحنُ والتكنولوجيا"، أو بتعبير آخر، ما هي علاقتنا بالتكنولوجيا؟ وكيف تتحقق هذه العلاقة في سلوكنا وتفكيرنا وذاكرتنا؟ وماذا تأخذ منّا التكنولوجيا، وهي تقترح علينا شرطًا جديدًا

1فيريليو، بول: السرعة والسلطة من ثورة الشارع إلى الحق في الدولة، تر: محمد الرحموني، مراجعة: منى زاهد السويلمي.

2المرجع نفسه، ص4.

لوجودنا؟ إنّ التفكير في العلاقة بالتكنولوجيا، لا يخدم التكنولوجيا وحدها فحسب؛ بل يخدم الإنسان وإنسانيته؛ ذلك لأنّ تحديد المقصد من أي مُنجز علمي، والتفكير فيه باستمرار مع كل ابتكار جديد، من شأنه أن يوفر شروط استخدامه، ويُؤمن خدمته للإنسان، ويُحصن مساره من كلّ انزياحٍ، قد يُحوله إلى عبثٍ علمي، أو فوضى في نظام الحياة، أو يكون سببًا في دمار البشرية، واندلاع الحروب، وتأجيج الاضطرابات والصراعات الاجتماعية والسياسية، أو يُؤدي بالإنسان إلى محطة العبث الوجودي. عندما يتوقف استقبال الابتكار التكنولوجي على الدهشة، والفرح الإنساني بمكتسبات العقل والعلم، دون المرور إلى مرافقة هذا المُنجز، والتساؤل حول قدرته على تحقيق الغاية الكبرى من تقدم العلم وتطور التكنولوجيا، فإنّ جوهر الابتكار يتلاشى، ومعه يتراجع دور التكنولوجيا في تأهيل الإنسان لحياة آمنة وسالمة وذات معنى وجودي.

إنّ السرعة الفائقة للمنجز التكنولوجي، تُحدث شرخًا في التركيز، الذي يعتبر أعلى درجات الانتباه، وينعكس ذلك على معنى الوجود، الذي قد يتحول-بدوره-إلى مجرد استهلاكٍ عابر لما يتم استقباله، بعيدًا عن تأمله، وإعادة ترتيبه وفق منطق التركيز والانتباه؛ بل تُدخل قوة تسريع السرعة من قبل التكنولوجيا الإنسان في استعمار جديدٍ، ينهج حربًا تعتمد السرعة التكنولوجية، والحكم بالخوف (الذرة، الإرهاب، البيئة..)، كما حلل ذلك "بول فيريليو" في كتابه "إدارة الخوف" L'Administration de la peur :[1] والاستهلاك. فهل يعيش الإنسان اليوم مرحلة نقله من حالة إلى أخرى من أجل التحكم أكثر في العالم والاقتصاد، وذلك بدفع الإنسان نحو أرض جديدة، سماها "فيريليو" بالقارة السادسة واعتبرها مستعمرة افتراضية؟

لا تعني الدعوة إلى سؤال التفكير في العلاقة مع التكنولوجيا، اتخاذ موقف من التكنولوجيا، والدعوة إلى التبخيس من قيمتها، ودورها في تقديم خدمات إلى الإنسان بل هي دعوة إلى استثمارها استثمارًا جيدًا وفعالاً، بوضع استراتيجيات بديلة، أو مرافقة، تعمل على تأهيل التكنولوجيا في حياتنا وعملنا، في تعليمنا وتربيتنا، وتساعد على مقاومة التشتت،

1 *Paul, Virilio: L'Administration de la peur Textuel, 2010.*

الذي قد يُحول الإنسان إلى مجرد أجزاء، ولمواجهة العبور الذي قد يُنسف الذاكرة، والاحتفاظ بالتركيز قيمة إنسانية تجعل الإنسان محور الوجود.

يبدأ التفكير في العلاقة بالتكنولوجيا من الوعي بضرورة تفعيل التفكير فلسفيًّا وثقافيًّا ومعرفيًّا وعلميًّا. ولهذا، يبقى التفكير معلقًا حتى إشعارٍ آخر، عندما تظل المؤسسات المنتجة للسؤال والعلم والثقافة والمعرفة غير معنية بهذا النمط من التفكير، وغير مهتمة بالانخراط في تاريخ الثورة التكنولوجية من مدخل السؤال الفلسفي الذي يُرافق التحولات العلمية، بالسؤال والتحليل وإضاءة الغايات الكبرى في علاقة التكنولوجيا بسعادة وأمانة وسلامة الإنسان. ولعلّ ما طرحه "بول فيريليو" عن علاقة دور السرعة في تحديد قوة السلطة، وكيف تُصبح السرعة جوهر الحرب، ما يجعل للتفكير الفلسفي ضرورته القصوى في تحليل مظاهر التكنولوجيا في حياة الناس، مهما بلغت خدمات التكنولوجيا للإنسان. فالسرعة الفائقة التي تركبها البشرية، وهي تُقاد بالابتكارات التكنولوجية المتسارعة نحو مستقبل تبدو ملامحه باهتة، كما يبتعد الماضي عن الذاكرة بقسوة بالغة، ويغترب الحاضر في زمن وجوده، تفرض يقظة التفكير والتحليل.

حتى نكون في المُستقبل

1.كورونا والتحديات الجوهرية

فجأة، وجد العالم نفسه أمام وباءِ أخذ الشعوب على حين غرة. حلّت كورونا فارتبكت الدول خاصة تلك التي ما تزال تضع بينها وبين البحث العلمي مسافة كبيرة، وما تزال تقف عند عتبة انتظار الحلول القادمة من وراء البحار والمحيطات، فيما ترمي بأدمغتها خارج الأوطان، دون خجلٍ. لأول مرة تحضر آسيا/الصين في الإعلام والخطابات السياسية بوصفها مصدر الوباء، وأوروبا/إيطاليا محطة الانتشار السحيق للفيروس، وتغيب – إلى حدّ ما- إفريقيا القارة السمراء التي استنزف الاستعمار، بشتى أشكاله مواردها الطبيعية، وتركها عرضة للمجاعة والأمراض والنزوح اللاإنساني. هل بسبب نعمة الشمس الحارقة بإفريقيا، المُدمرة للفيروس؟ أم لأسباب سياسية اقتصادية، تُتداول في الفضائيات والسوشل ميديا، بوصفها مُؤامرة سياسية اقتصادية؟ أم لأنّ انعدام الثقة في التدبير السياسي العالمي، والجري وراء تغيير خريطة العالم تبعًا للبحث عن الموارد الجديدة، جعل الحدث، وإنْ كان حقيقة ثابتة، تُلاحقه علامات الاستفهام، فتُشوش على حقيقته ووضعيته؟

بعيدًا عن كلّ الاحتمالات في التأويلات التي يفرضها الواقع السياسي العالمي اليوم، فإنّ الشعوب تُواجه حقيقة فيروس كورونا الذي ينتشر بسرعة، ويُدمر الحياة الطبيعية للإنسان، ويضع شروطا للتواصل، ويفرض قانونًا جديدًا للحياة من أجل تفاديه، وفي الوقت ذاته، يحصد أرواحًا.

غير أنَّ كلّ حدث وإن جاء هذه المرة عبارة عن وباء، فإنه يضع السياسات والدول وكذا المجتمعات أمام تحديات، وتتعمق هذه التحديات مع الوضعية العربية. ولعلّ من بين هذه التحديات، نختار ثلاثة لأهميتها: التحدي الأول هو وضعية البحث العلمي ومدى خدمته للإنسان. فبمجرد ظهور الفيروس، دخلت الدول الغربية إلى مراكز بحثها ومختبراتها الطبية للبحث عن لقاح ضدّ كورونا؛ بل دخلت بعض الدول في تنافس علمي محموم حول اللقاح،

كما كشفت تقارير طبية ألمانية عن التنافس الألماني-الأمريكي، في حين وقفت دول مثل دولنا في باب الانتظار؛ بل يصرح بعض مسؤوليها عن انتظار اللقاح، الذي أوكلت مهمة اكتشافه للعالم المغربي المهاجر لأمريكا "منصف السلاوي" وهنا نطرح سؤالاً: ما جدوى ميزانية البحث العلمي إذا لم تكن هناك ثقة سياسية في الباحثين؟ وما جدوى المختبرات الجامعية، إذا لم تكن تحضر في المقاربة السياسية باعتبارها قوة اقتراحية ومشغلًا حقيقيًّا للتطور وتجويد الخدمات للمجتمع وأفراده؟ وما الجدوى من الحديث عن الإصلاح في التعليم والبحث العلمي إذا لم تكن هناك ثقة في منجزات البحث العلمي؟ أين هي مراكز البحث؟ أين هي الأدمغة العربية التي تعيش حالة "الغابر الظاهر" على حدّ تعبير القاص المغربي "أحمد بوزفور في مجموعته القصصية "الغابر الظاهر" (1987)، أدمغة تنطفئ في بلدانها، وتشع ضوءًا مدهشًا في الغرب، وقد أظهرت جائحة كورونا الكفاءات العربية التي تدير مختبرات علمية بأوروبا وأمريكا وآسيا.

من أجل الاحتراز، سلكت كثير من الدول العربية إجراء وقائيًّا، لتخفيف التجمعات وهو توقيف الدراسة، فكانت أمام الصدمة الكبرى. سهلٌ أن تقرر توقيف الدراسة، لكن صعبٌ أن تُؤمن الدراسة مع هذا الإجراء. وهنا بدأنا نسمع بالتعليم عن بعد. نطرح سؤالاً: أين كانت سياسة التعليم من التعليم عن بعد؟ لماذا لم يتم تكوين الأساتذة في هذا التعليم؟ ولماذا لا يتم الاهتمام بمسؤولية بالأنظمة الجديدة للتعليم من خلال التكنولوجيا؟ هل ستستطيع هذه الدول تحقيق هذا التعليم بطريقة اعتباطية؟ ألا يعني هذا أننا نعيش ثورة رقمية دون أن ننتمي إليها؟ إذا كانت الثورة الرقمية الرابعة الحالية تتميز بالذكاء الاصطناعي فكيف لا تستثمر هذا الذكاء في التدبير التربوي والتعليمي والطبي والإداري؟ أم أننا سنظل في عتبة الانتظار حتى يحدث الحدث، بعدها نبدأ نفكر في تجاوز العتبة بطلب المساعدة؟ هل تستطيع هذه الدول تأمين تعليم عن بعد بدون تكوين سابق، وبرامج مسطرة؟ وهل كونت التلاميذ والطلبة بهذا التعليم وقبلهم الأساتذة؟ فأي إصلاحٍ في التعليم، يستوجب أساسًا الاهتمام بعقلية أولئك الذين يطبقونه، على حدّ تعبير المهدي المنجرة. وهل ما تحقق من تجربة في التعليم مع الجائحة، هو بالفعل تعليم عن بعد، أم من بعيد؟

التحدي الثاني يتعلق بثقافة الرعب. ونستحضر هنا، فكر عالم المستقبليات المغربي الراحل "المهدي المنجرة" الذي توقَّع حكم العالم بالرعب. اعتبر البعض جملة "الكثير سيخسرون أحبابهم قبل وقتهم" التي وردت في خطاب رئيس الوزراء البريطاني "بوريس جونسون" إلى الشعب صدمة إعلامية لأخذ الحيطة، والتعامل بيقظة مع الوباء، وقد يكون الأمر كذلك، لكنها جملة تُؤسس لثقافة الرعب في القادم. أمّا الشعوب العربية فقد دخلت في رعبٍ كبير، نتج عن فجائية الوباء من جهة، وغياب الوضوح السياسي مع عدم الثقة في السياسيين من جهة أخرى. عندما يُهيمن الرعب، ينجح الوباء – كيفما كان-في الانتصار؛ لأنّ العقل يتوقف، والتحليل يتعثر، وضوء الحقيقة يخفت. والدليل على ذلك أنّه ما إن أعلنت بعض الحكومات العربية توقيف الدراسة حتى أُفرغت الأسواق والمحلات من المواد الغذائية. وهي ظاهرة تُعبر عن هذه الازدواجية الحاصلة لدى الشعوب بين الرعب من الفيروس، وفي الوقت نفسه التواجد دفعة واحدة، وبأعداد كبيرة في المساحات نفسها، وضعف حسّ المسؤولية بالوقاية، وقد حلّل مُنظر مفهوم "السرعة" المفكر "بول فيريليو" هذه المسألة بدقة، عندما تحدث عن العلاقة بين الإحساس بانعدام الأمن وازدياد الحاجة في الاستهلاك؛ إذ "يجري الآن خلق شعور جماعي بانعدام الأمن، ما سيفضي حتمًا إلى خلق نوع جديد من البضاعة الاستهلاكية هي بالتأكيد الحماية، وتدريجيًّا قفزت هذه البضاعة إلى الصدارة وأصبحت حصيلة الدورة الاستهلاكية كلّها. فإشاعة فكرة الحاجة إلى الأمن من شأنها أن تخلق مواطنًا بملامح جديدة. فلم يعد المواطن ذاك الذي يغني الأمة بما يستهلكه من بضائع بل هو ذاك الذي يبادر إلى استثمار أمواله وجهده في تأمين نفسه، فيوفر لها أفضل حماية، إنه في النهاية يشتري أمنه على حساب حاجاتها الاستهلاكية الأخرى"[1].

فهل هو تحدٍّ للوعي الاجتماعي الجماعي؟ أم هو تعبير عن عدم الشعور بالمسؤولية الجماعية؟ أم إعلان صريح عن تفشي الأنانية؟ أم أنَّ الوعي الصحي ما يزال ضعيفًا؟ هل هناك خللٌ ما في الممارسة الاجتماعية؟ أم يعود الأمر إلى سلطة الحكم بالخوف؟

1فيريليو، بول، السرعة والسياسية..، ص11.

التحدي الثالث وهو المرتبط بعلاقتنا بالمعلومة. منذ اندلاع الفيروس وهجمة شرسة من المعلومات يتلقاها الفرد عبر وسائط وتطبيقات التكنولوجيا، ويُعيد تقاسمها بكل ثقة، كأنه مرجعها ومنتجها. تشتغل هذه الهجمة نفسها في دعم ثقافة الرعب؛ ذلك لأنَّ التحليل المطلوب في مثل هذا الوضع يحتاج إلى مسافة، ومتخصصين، ومسؤولين عن نقاء المعلومة من كلّ شائبة قد تجرّ بها إلى الهاوية. وهو وضعٌ يُعيد إلى الواجهة سؤال علاقتنا بالتكنولوجيا، وهل تخدمنا أم نخدمها؟ وهل نستخدمها أداةً، أو تحولنا إلى أدوات؟ وهل نحن على وعي بما نتلقاه من معلومات، ونتقاسمه دون التريث في تأمل حقيقته؟ وهل التقاسم هو مجرد إعادة نقل دون تشغيل عقلنا، والتأكد من مرجع المعلومة ووضعيتها؟ ألا يحدث هذا بسبب التأخر في التربية على الثقافة التكنولوجية؟ ألا يحتاج الأمر إلى سرعة هندسة انخراط المجتمع في ثقافة التكنولوجيا؟ إن كل تأخر مسؤول علميًّا وذهنيًّا وثقافيًّا في هذا الانخراط، هو غيابٌ صارخٌ في المستقبل.

أمام هجمة المعلومات الملتبسة، تضيع المعلومة المُنقِذة، فتزداد مخاطر الفيروس، وترتفع درجة الرعب. ولعلّ الأمر له علاقة بالإعلام الذي يضعه هذا الفيروس أمام تحدي المسؤولية المهنية، من خلال التأطير الاجتماعي للأفراد ببثّ الوعي بثقافة الوقاية، عبر متخصصين طبيين، يشرحون الوباء بلغة تصل إلى الكل، وليس متكلمين خارج التخصص، يجتهدون لخلق الإثارة، وربح عدد من علامات الإعجاب.

الوقت لم يعد للمزايدات، والمسؤولية مشتركة، والمواجهة تقتضي روحًا جماعية، تبدأ من حسن وقاية ذاتك، لتنعكس بشكل مباشر على الآخر. ولعل في ذلك حكمة فلسفية، تجعل من الوجود الإنساني وجودًا مشتركًا، وتُعيد للواجهة قيمًا بدأنا نرى تلاشيها أمام انتشار أفكار الأنانية، وتجاوز المُشترك الإنساني، مثل قيم التضامن والإخاء والمحبة والسلام الحقيقي واحترام ضعف الناس.

إذا كان فيروس كورونا يضع الكل أمام تحديات سياسية وثقافية وعلمية، فإنّه يضعنا كدول ومجتمعات عربية أمام سؤال الرؤية التي بإمكانها السير بنا إلى المستقبل بأمان. فالمستقبل مثل الطبيعة لا يقبل الفراغ.

2. نحو تفاعل مفتوح بين الإنسانيات والرقميات:

نحن مسارٌ مُتحركٌ في التاريخ. ومن قلب الحركة، تُولد مُنجزات قد تُثير دهشتنا، أو قلقنا، لكنها في النهاية، هي منجز العقل البشري. كلّ تأخرٍ في إدراك العقل البشري في مستجداته ومنجزاته ومكتسباته، يُشكل عائقًا أمام تعثر الحركة في التاريخ، ومن ثمة في الحضارة. ولا يُقصد بإدراك منجز العقل البشري، الإنتاج والابتكار والاختراع والإبداع فقط، وهذا مطلبٌ حضاري تاريخي، يُعزز حضور الإنسان في حركة التاريخ، لكن القصد يصبو – في الوقت ذاته-إلى حُسن استخدام ابتكارات العقل الإنساني، وتطوير الاستخدام، من أجل تدبير طموحات العقل، التي قد تتجاوز العقل نفسه، بل تحليل واقع التكنولوجيا في حياة المجتمعات والإنسان لأنّ أخطر جهل ثقافي، هو عندما يتحول الإنسان إلى جسرٍ طيّع لتمرير الإيديولوجية الجديدة لاستعماره من أجل استمرار الاقتصاد قوة استهلاكية.

إنّ المنجز الرقمي الذي يعرف تطورات هائلة مع الثورة الرقمية الرابعة (الذكاء الاصطناعي)، وبدايات ظهور مظاهر الثورة الرقمية الخامسة (الروبو، إنترنت الأشياء)، يُقدم خدمات للإنسان، تُطور نمط حياته وعمله وتعليمه، كما تسمح له بتدبير الزمن، من أجل انفتاح أكبر على خيارات جديدة في الحياة، غير أنها قد تسلبه في الوقت ذاته ذكاءه وعقله وتفكيره، وتتحوّل إلى سلطة وصية على عقله. من هنا، تكمن ضرورة حضور الإنسانيات للتفكير في الرقميات، وتحليل أبعادها وانعكاساتها الإيجابية والسلبية على الإنسان والمجتمع، وعلى الأرض والمستقبل.

عندما يظهر جيل جديد من الهواتف الذكية، وتلمع أمام أعيننا تطبيقات مدهشة، ونتحول بفضل التقنيات التكنولوجية إلى كائنات مبهرة داخل الشاشات، وعندما نُسافر بدون جواز أو تذكرة، خارج المسافة والمساحة، بعيدًا عن لعبة المكان والزمن، وأبعد عن التعاقدات الاجتماعية والثقافية التي قد تقيد الحركة، وتمنع الكلمة، وتقمع التعبير وتكبل الخطوات بدافع منطق التعاقدات، عندما يحدث ذلك، قد ندخل في زمنٍ مغايرٍ، يُشعرنا بالتحرر من الواقع المادي، ويمنحنا الإحساس بالاستقلال الذاتي، ويجعل ضمير "الأنا" عندنا يرتفع، وترتفع نبرة سلطته. قد يزهو الضمير بنفسه، وقد يتحول إلى علامة رمزية تكنولوجية،

لها متابعون ومعجبون ومدافعون ومناصرون ومهاجمون. ضميرٌ معلومٌ بصيغة التكنولوجية المدهشة. قد تمنح التكنولوجيا كلّ مظاهر هذا الإحساس بالزهو والانتصار والمتعة والإعجاب والشعور بِـ"الأنا" وهي تقول القول الممنوع في الواقع، وترفع الصوت المخنوق في المجتمع. لكن، أسئلة جوهرية من الضروري التفكير فيها، وهي:

-من نحن الآن وهنا؟

-كيف أصبحنا بعد الانتشاء بالتكنولوجيا؟

-ما هو ماضينا؟ وكيف نفكر في حاضرنا؟ وهل لدينا تصور حول المستقبل الذي نتجه إليه؟

-هل ما تزال ذاكرتنا تشتغل؟ وهل ما يزال ماضينا حاضرًا كما كان قبل انتشائنا بالتكنولوجيا؟

-ماذا يعني الوقت عندنا اليوم؟

-وكيف هي علاقتنا مع الكومبيوتر وشبكة الإنترنت؟

-وهل يمكن الحديث عن مفهومنا اليوم للهوية والمشاعر والحبّ والانتماء والجمال والسلام والحرب؟

-هل فكرنا في إدراكنا الجديد لذواتنا وللحياة؟

-ما الذي تبقى فينا من إدراكنا لذواتنا قبل انتشائنا بالتكنولوجيا؟

-كيف نتصور وجودنا إذا نجحت الآلة التكنولوجية في تحقيق مفهوم الأتمتة، واستقلت عن الإنسان، عنا، عن عقلنا؟

-من نكون عندئذ؟

-وأي مفهوم سنحمله عنا، ونورثه للأجيال القادمة؟

إنّه حقلٌ فلسفي وثقافي ينفتح وبقوة على أسئلة حقيقة التكنولوجيا في حياة الإنسان، وفي هذا الحقل تشتغل الإنسانيات من أجل خلق توازن موضوعي بين العقل البشري

ومنجزاته، حتى يظل الإنسان هو المتحكم في منجزات عقله وفكره، ويظلّ الفهم وإحداث المعنى وتحليل الظواهر ضرورة ضدّ إقصاء الإنسان من الطبيعة والعالم.

التنمية هي العلم وقد تحقق حضارةً.

ملاحق

ملحق 1
تواريخ في حياة التكنولوجيا الحديثة

1784: الثورة الصناعية الأولى (اختراع آلة البخار)

1822: أول حاسوب ميكانيكي

1870: الثورة الصناعية الثانية (استخدام الطاقة الكهربائية)

1920: ظهر أول مرة مصطلح "روبوت" في مسرحية للكاتب المسرحي التشيكي "كارل تشابيك"

1955: تنظيم مؤتمر كلية دارثموت الأمريكية من أجل تأسيس مصطلح "علم الذكاء الاصطناعي"

1956: ظهور أول مرة الذكاء الاصطناعي باعتباره مصطلحًا وعلمًا في مؤتمر دارثموث.

1959: اختراع الرقاقة الحاسوبية

1968: إنشاء أول شبكة كبيرة للحواسيب في الولايات المتحدة الأمريكية الأربانت.

1968: ظهور أول ماوس

1969: الثورة الصناعية الثالثة

1980: تخيل "الفيلسوف الأمريكي جون سيرل John Searle، المتخصص في فلسفة اللغة، التجربة الفكرية "الغرفة الصينية"

1981: أول حاسوب شخصي باستعمال نظام النوافذ والملفات واستخدام الماوس وشبكة الإنترنت

1984: إطلاق أول جهاز ماكنتوش

1989: أنشئت الويب، الشبكة العنكبوتية العالمية World Wide Web

1993: إطلاق شبكة الإنترنت: الثورة الرقمية الرابعة (الذكاء الاصطناعي)

2011: ظهور مصطلح "الصناعة في طورها الرابع" أي الثورة الرقمية الرابعة

2016: اسْتُخْدِم مصطلح "الثورة الرقمية الرابعة" دوليًّا من قبل المنتدى الاقتصادي العالمي

ملحق2

علبة مصطلحات الاستعمال التكنولوجي الواردة في الكتاب

العربية	الفرنسية	الإنجليزية
أتمتة	Automation	Automatisation
أدب إلكتروني	Littérature Electronique	Electronic Literature
أدب تفاعلي	Littérature Interactive	Interactive Literature
أدب رقمي	Littérature Numérique	Digital Literature
إلكتروني	Electronique	Electronics
الإنسانيات الرقميات	Humanités numériques	Digital Humanities
البرامج المعلوماتية	Programmes d'information	Informational programs
البرونيتاريا	Pronétariat	Pronétariat
بيئة افتراضية	Environnement virtuel	Virtual environment
تدفق معلومات	Flux d'information	Information flow
تشفير	codage	coding
تفاعل	Interaction	Interactivity
تفاعلي	Interactif	Interactive
التفردية التكنولوجية	La singularité technologique	Technological singularity
تقاسم	Partage	Sharing
التكنولوجيا الجديدة	Nouvelles Technologies	New technologies
ثقافة التقاسم	Culture de partage	Culture of sharing
حامل	Support	Support
الذكاء الاصطناعي	Intelligence Artificielle	Artificial intelligence
رابط	Lien	Link
رقمنة	Numérisation	Digitization

Digital	Numérique	رقمي
the speed	la vitesse	السرعة
Age of access	L'Age de l'accès	عصر الولوج
Virtual	Virtuel	افتراضي
Technology phobia	Phobie technologique	فوبيا التكنولوجيا
Digital Reading	Lecture Numérique	قراءة رقمية
Digital Writer	Ecrivain Numérique	كاتب رقمي
Digital Writing	Ecriture Numérique	كتابة رقمية
	Ecrilecture	كتاءة
The information	L'information	المعلومة
platform	Plate-forme	منصة
New media	Nouveau média	الوسائط الجديدة
Medium	Medium	وسيط

بيبليوغرافيا

مُعْجم مُصْطلَحات كُوفِيد 19 (إنجليزي-فرنسي-عربي)، ط1، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، المغرب، 2020م.

➢ مراجع بالعربية

❖ الكتب:

- التميمي، أمل: "تحولات السيرة الذاتية وممارساتها الجماهيرية بعد ثورات الربيع العربي"، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2017م.
- سيرل، جون: رؤية الأشياء كما هي.. نظرية الإدراك، ترجمة: إيهاب عبد الرحيم علي، عالم المعرفة، رقم 456، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2018م.
- فيريليو، بول: السرعة والسلطة من ثورة الشارع إلى الحق في الدولة، ترجمة: محمد الرحموني، مراجعة: منى زاهد السويلمي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2017م.
- كرام، زهور: الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ط2، مطبعة الأمنية، الرباط، 2013م.
- كرام، زهور: السرد النسائي العربي مقاربة في المفهوم والخطاب، ط1، مدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 2004م.
- كرام، زهور: الفكر التنويري في الرؤية المستقبلية عند المهدي المنجرة، ط1، مطبعة الأمنية، الرباط، المغرب، 2018م.
- معلوف، أمين: غرق الحضارات، ترجمة: نهلة بيضون، ط1، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، 2019م.

➢ المجلات والمواقع

روابط رقمية، العدد2، 2018م.

➢ المراجع الأجنبية:

❖ الكتب

- Baudrillard,Jean: La Société de consommationEditions:PDF,1970.
- Cuillandre, Herve: Un monde meilleur: et si l'intelligence artificielle humanisait notre avenir? 2018.
- Mallard,Stéphane: Disruption - Intelligence artificielle, fin du salariat, humanité augmentée 2019.
- Marc Morereau: La poésie numérique Sciences de l'Homme et Société, 2017
- Virilio, Paul: L'Administration de la peur Textuel; 2010.
- Cédric, Biagini: L'emprisenumérique. Comment Internet et les nouvelles technologies ont colonise nos vieMontreuil, Ed l'échappée, 2012.
- Debord, Guy: La société du spectacle, Gallimard, Paris, troisième édition, 1992
- DEVILLERS, Laurence: Des robots et des hommes, mythes, fantasmes et réalité
- Éditions Plon, Paris, 2017
- Joël de Rosnay: La révolte du Pronétariat Fayard, 2006
- Laurent Alexandre: La guerre des intelligences,É*diteur: J.-C. LATTÈS, 2017.*
- Vial, Stéphane: L'être et l'écran. Comment le numérique change la perception,Paris, PUF, coll. «Hors collection», 2013

➢ المواقع الإلكترونية

Elisabeth Hildt: Intelligence artificielle: la conscience est-elle importante?

https://www.frontiersin.org/articles/10.3389/fpsyg.2019.01535/full

Hubert Guillaud: Une société de simulation

http://www.internetactu.net/2013/10/02/une-societe-de-simulation

Jean BESSIÈRE : La littérature est-elle critique?

https://journals.openedition.org/traces/2383

John R. Searlen, http://cogprints.org/7150/1/10.1.1.83.5248.pdf

Maurice Benayoun: ARCHITECTURES RÉACTIVES DE LA COMMUNICATION

https://benayoun.com/moben/fr/1998/05/12/missing-matter/

Philippe *Bootz* **:** Chapitre VI. La littérature numérique en quelques repères

https://books.openedition.org/pressesenssib/1095?lang=fr

VERNOR VINGE: «La singularité», Article traduit de l'anglais par Emmanuel Mie ,

https://mindstalk.net/vinge/vinge-sing.html

https://www.cnet.com/news/china-is-using-adorable-robot-teachers-in-kindergartens/

Robot teachers invade Chinese kindergartens - Phys.org

https://ifr.org/ifr-press-releases/news/robots-help-to-fight-corona-virus-sars-cov-2-worldwide

https://www.china-briefing.com/news/lindustrie-de-la-robotique-en-chine/

xinhuanet.com,http://arabic.news.cn/2020-05/07/c_139037974.htm

https://www.francoisloth.com/la-chambre-chinoise-de-john-searle/#_ftn1

http://www.dvdclassik.com/critique/les-temps-modernes-chaplin

https://www.ifr.org/

https://ifr.org/img/uploads/2018-FEB-07_IFR_press_release_-_Robot_density-French.pdf

https://datareportal.com/reports/digital-2020-global-digital-overview

https://datareportal.com/reports/digital-2020-global-digital-overview

https://www.youtube.com/watch?v=yC3e7rmSYM4

http://arabic.china.org.cn/txt/2020-05/07/content_76017047.htm

الفهرست

❖ قبل المقدمة 7
❖ مقدمة :حتى لا يتجاوزنا المُستقبل 13
1. نحن والرقميات 13
2. الرقميات، كورونا، تفكيرنا وتحديات المواجهة 20
❖ مداخل مفاهيمية 25
1. في مفهوم الإنسانيات والرقميات 25
2. الذكاء الاصطناعي 27
3. الإنسان والحاسوب والعلاقة التكاملية 34
4. الافتراضي وأسئلة العلاقة مع الواقع 38
❖ الخطاب الاجتماعي عبر التكنولوجي 45
1. تحليل خطاب "الشعب يريد" 46
2. المقاطعة الاجتماعية والحراك التكنولوجي 52
3.الوسائط التكنولوجية والديمقراطية الجديدة 56
4. التكنولوجيا وحقوق الإنسان 59
5. السيرة الذاتية والمواقع الاجتماعية: تحولات في الخطاب 63
6. في الحاجة إلى سوسيولوجيا التكنولوجيا 67
❖ التدبير الإداري والتكنولوجيا: الإدارة الإلكترونية والتدبير الديمقراطي 71
❖ الأدب/القراءة والتكنولوجيا 75
1.الأدب والرقميات 75
2. من الرقمي إلى الورقي 82
3. التربية على ثقافة التفاعل: أدب الأطفال نموذجًا 85
❖ الإعلام والتنمية والتكنولوجيا 89
1. الإعلام الرقمي والمواقع الاجتماعية: تحديات التدبير 89
2.التكنولوجيا رافعة التنمية الاقتصادية 96
❖ التكنولوجيا بين خدمة الإنسان وضياعه 103

1. التكنولوجيا وسيولة كورونا 103
2. شارلي شابلان والأزمنة التكنولوجية 108
3.التكنولوجيا وسؤال التركيز 112
❖ حتى نكون في المُستقبل 117
1.كورونا والتحديات الجوهرية 117
2. نحو تفاعل مفتوح بين الإنسانيات والرقميات..... 121
❖ ملاحق 125
ملحق 1: تواريخ في حياة التكنولوجيا الحديثة 127
ملحق2: علبة مصطلحات الاستعمال التكنولوجي الواردة في الكتاب 129
بيبليوغرافيا 131